التنصير

مفهومه، وأهدافه، ووسائله وسبل مواجهته

الدكتور علي إبراهيم النملة

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

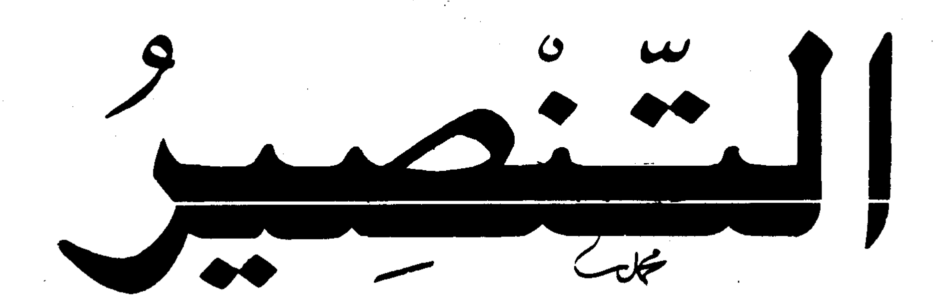


التَّنْصِيرُ

مفهومه، وأهدافه، ووسائله
وسبل مواجهته

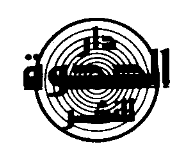
دار الصحوة للنشر والتوزيع
الادارة : ٧ ش السراى - أول المنيل - القاهرة ت وفاكس : ٩٨٧٩٢٤
الفرع : بجوار عمارات المهندسين - حدائق حلوان - القاهرة : ٣٧٤٠٠٧١

الدكتور علي ابراهيم النملة
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



التنصير

مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ وَلَنْ ترضى عَنكَ اليَهُود وَلا النَّصارى حتَّى تتَّبِع ملَّتَهُمْ قُلْ إنَّ هُدَى الله هُوَ الهُدَى ولَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِيْ جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيْرٍ﴾ البَقَرة، آية ١٢٠ .

* * *

وقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا كُوْنُوْا قَوَّامِينَ لِلَّه شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوْا اعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوْا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ المائدة، آية ٨ .

* * *

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِن أَهْلِ الكِتَاب لَو يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ البقرة، آية ١٠٩ .

* * *

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وبعد؛

فالتنصير فى مفهومه العام ظاهرة بدأت مع ظهور رسالة عيسى – عليه الصلاة والسلام – وقد حصل لهذا المفهوم تطورات بحسب ما حصل للنصرانية الأولى من تحريف بدأ على يد شاؤول أو بولس فى القرن الأول الميلادى. وأدخلت عليها ثقافات يونانية (إغريقية) وهندية وفارسية، فأصبحت النصرانية خليطاً من الوحى الإلهى الذى أنزله الله – تعالى –على نبيه ورسوله عيسى – عليه السلام – وأفكار البشر الذين سبقوا فى وجودهم ظهور النصرانية.

والمجتمع المسلم لم يسلم من هذه الظاهرة، بل ربما يكون المجتمع المسلم أكثر المجتمعات تعرُّضاً للتنصير، نظراً للمقاومة التى يلقاها المنصرون من المسلمين أفراداً قبل المؤسسات والجماعات. ذلك أن المسلم يتربى على الفطرة وعلى التوحيد، ويصعب حينئذٍ أن يتقبَّل أىَّ أفكار فيها تعارض مع الفطرة أو فيها خلل فى الجوانب العقدية وفى مخاطبة العقل مادام يملك البديل الواضح. ومع هذا تستمر حملات التنصير على المجتمعات الإسلامية آخذة وسائل عديدة ومفهومات متجدِّدة تختلف عن المفهوم الأساسى، وهى محاولة إدخال غير النصارى فى النصرانية.

والتنصير ظاهرة متجدِّدة ومتطوِّرة فى آن واحد. وتطورها يأتى فى تعديل الأهداف وفى توسيع الوسائل تبعاً لتعديل الأهداف، واتخاذ الأساليب العصرية الحديثة فى تحقيق الأهداف المعدلة حسب البيئات والانتماءات التى يتوجَّه إليها التنصير حتى وصلت هذه الظاهرة، عند البعض، إلى أنها أضحت علماً له

مؤسساته التعليمية ومناهجه ودراساته ونظرياته.

وقد تنبّه المسلمون إلى هذه الحملات منذ القدم، ووقف لها العلماء والولاة والمفكرون وعامة الناس بحسب قدراتهم العلمية والسلطانية، فقامت ردود علمية على النصرانية المحرّفة. وقامت كذلك تنبيهات ورصد للأنشطة التنصيرية في المجتمع المسلم بخاصة وفى العالم بعامة. ومن أجل ذلك ظهرت مجموعات غير قليلة من الرسائل والدراسات والمقالات والأبحاث تصدر فى الكتب والمجلات والصحف والدوريات العلمية كما تصدر فى الشريط، هذا الوعاء الذى أخذ طابع القبول فى الآونة الأخيرة مع بروز ظاهرة العودة إلى الإسلام « الصحوة ». وانتثرت المعلومات فى هذا الإنتاج العلمى والفكرى المتنوع من حيث الأوعية ومن حيث التغطية. وبدأ الإقبال على التعرُّف على الحملات التنصيرية واضحاً مع تنامى الوعى والشعور بوجود تيارات تتحدى الإسلام والمسلمين، وتعمل على منافسته فى أذهان الناس وممارساتهم.

وبسبب تناثر المعلومات حول التنصير وتشتُّتها واختلاف البيانات الإحصائية وتغيُّرها مع الزمن، ومن خلال التجربة الذاتية مع الحملات التنصيرية من حيث التعرُّض المحدود لها والاطلاع على نشاطاتها، وحيث إن هذه الحملات متجدِّدة وهى بحق تهدِّد المجتمع المسلم وجدت أنه من المفيد الوقوف مع الفكرة التنصيرية من حيث مفهومها وأهدافها ووسائلها المباشرة والمساندة وسبل مواجهتها، فجاءت هذه الوقفة التى بين يدى القارىء. وهى لا تعدو كونها عرضاً عاماً لما كتب عن هذه الظاهرة باللغة العربية، ومحاولة الخروج بوقفة علمية موضوعية تختصر المسافة على المستفيد بوضعها فى مرجع واحد.

ولا أدّعى السبق فى هذا، ولا إيراد معلومات جديدة عدا محاولاتى التدخُّل بوقفات متناثرة فى سياق هذا العرض. فإن يكن لهذه الوقفات فضل فإنه سينحصر فى قصر المسافة على المستفيد بالوصول السريع إلى المعلومات عن التنصير من

حيث كونه ظاهرة قائمة لها آثارها على المجتمع المسلم. ولعل هذه الوقفة تفتح الآفاق لمزيد من التوسُّع لمن أراد التوسُّع والإسهام فى هذا المجال عمدت إلى رصد ما كتب عن التنصير فى الأدبيات « الكتابات » العربية، وبخاصة ما كتب فى الكتب والدوريات والمجلات الثقافية. وجعلت هذه الوقفة مقدمة للحصر.

الوراقى الببليوجرافى. فإن ظهرت الوقفة مستقلة عن الحصر فإنما قصد بذلك، أيضاً، اختصار المسافة على المستفيد، فإن أراد الاستزادة رجع إلى الحصر ليدُلَّه على مبتغاه من خلال تقسيم مواد الحصر إلى مجموعة من رءوس الموضوعات رأيت أنها هى أهم ماتحدثت عنه هذه المواد، مع عدم إغفال التداخل بينها.

وقد تعمدت فى هذه الوقفة الابتعاد عن البيانات والإحصائيات لأننى وجدتها - فى الغالب - غير دقيقة. وعدم دقَّتها يرجع إلى أنها تُستَقى عادة من مراجع أجنبية يكون تركيزها طائفياً أحياناً أو مؤسسياً أحياناً أخرى، فتقتصر إحصائياتها على إنجازات الطائفة (كاثوليكية أو بروتستانتية أو أرثوذوكسية)، أو تقتصر على إنجاز إرسالية أو مجموعة من الإرساليات تربطها رابطة تنظيمية، لكنها لا تغطي جميع الجهود. وأقرب مثال على هذه المقولة أن ميزانية فى العالم كانت عام ١٤١١هـ-١٩٩٠م حوالى مائة وأربعة وستين مليار دولار أمريكى [١٦٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠] سنوياً، وقد أفادنى بهذا الدكتور عبد الرحمن السميط أحد العاملين فى الساحة الأفريقية، ونشر هذا الرقم فى مجلة الدعوة السعودية. ثم وجدت أن الميزانية قد قفزت عام ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م إلى مائة وواحد وثمانين مليار دولار أمريكى [١٨١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠]. وقد أفاد بهذا الشيخ الداعية سلمان بن فهد العودة فى أحد الدروس العامة التى تحدث فيها عن التنصير. والفارق الزمنى بين الرقمين هو سنتان، أما الفارق الرقمى بينهما فهو

سبعة عشر مليار دولار [١٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠] وهو الزيادة فى غضون سنتين فقط. ومثل هذا التفاوت فى الأرقام ينطبق على أعداد المنصرين والمنصرات والمتنصرين والمتنصرات والمعاهد التنصيرية والجمعيات القديمة والحديثة واللقاءات والمؤ تمرات وغيرها من وسائل تنصيرية. وفى نشرة وزّعتها الندوة العالمية للشباب الإسلامى جاء فيها أن عدد النصارى فى العالم يبلغ ملياراً وسبعمائة وعشرين مليوناً (١،٧٢٠،٠٠٠,٠٠٠) نسمة، وبلغ عدد المنظمات التنصيرية فى العالم اربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة وثمانين (٢٤,٥٨٠) منظمة، وعدد المنظمات العاملة فى مجالات الخدمة يزيد على عشرين ألفاً وسبعمائة (٢٠,٧٠٠) منظمة، ويبلغ عدد المنظمات التى تبعث منصرين متخصصين فى مجالات التنصير والإغاثة ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانين (٣,٨٨٠) منظمة، ويزيد عدد المعاهد التنصيرية على ثمانية وتسعين ألفاً وسبعمائة وعشرين (٩٨,٧٢٠) معهداً تنصيرياً، ويبلغ عدد المنصرين المتفرغين للعمل خارج إطار المجتمع النصرانى أكثر من مائتين وثلاثة وسبعين ألفاً وسبعمائة وسبعين (٢٧٣,٧٧٠) منصراً، وأظن أن هذا الرقم الأخير متواضع جداً، ويزيد عدد الكتب المؤلفة لأغراض التنصير على اثنين وعشرين ألفاً ومائة (٢٢,١٠٠) كتاب فى لغات ولهجات متعددة، وبلغ عدد النشرات والمجلات الدورية المنتظمة ألفين ومائتين وسبعين (٢,٢٧٠) نشرة ومجلة توزّع منها ملايين النسخ بلغات مختلفة، ويزيد عدد محطات الإذاعات التنصيرية على ألف وتسعمائة (١,٩٠٠) إذاعة تبث إلى أكثر من مائة (١٠٠) دولة وبلغاتها. وذكرت النشرة أن مجموع التبرعات التى حصل عليها المنصرون لعام واحد حوالى مائة وواحد وخمسين مليار (١٥١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار أمريكى، وهذا الرقم يقلُّ عن الرقم المأخوذ من محاضرة الداعية الشيخ سلمان بن فهد العودة بثلاثين مليار (٣٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار، ويقلُّ عن الرقم الذى أفاد به الدكتور عبد

الرحمن السميط بثلاثة عشر مليار (١٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار. ولا غرابة فى هذه الفروقات فى الأرقام، وذلك استناداً إلى المصادر التى يستأنس بها موردو هذه الإحصائيات. وعلى أية حال فالأرقام والإحصاءات عالية ومتغيرة بسرعة عجيبة نظراً لتطوُّر صناعة التنصير وأساليبه فى نشر التنصير بين الناس بعامة.

ومن منهجى أيضاً الإصرارعلى مصطلحى النصرانية والتنصير فى مقابل المسيحية و التبشير ، إلا مااضطررت إليه مما يأتى ضمن نصٍّ منقول اقتباساً، فلا أملك علمياً التصرُّف فى الكلمات الواردة فيه. ولم أشأ التدخُّل فى النص بوضع البديل المختار بين معقوفتين، مع إمكان ذلك فلم أر داعياً لذلك ، ويكفى هنا تبيان المنهج وأنى إنما أنقل نصّاً ولا يعنى نقلى له إقرارى لاستخدام المصطلحات الواردة فيه.

وينبغى -فى رأيى المستمد من المنهج- أن تعالج ظاهرة التنصير معالجة موضوعية بعيدة عن الإفراط فى الحساسية تجاه النصارى بعامة. فليس بالضرورة أن جميع النصارى منصرون، والموضوعية تقتضى أيضاً أن ندرك أن هناك منصرين فى المجتمعات المسلمة وغير المسلمة لم يأتوا بثياب المنصرين. وينبغى ألا نأخذ الناس بالظنة، لأننا فى مواقفنا لا نعبر عن وجهات نظر شخصية، بل نعبر عن منهج ندعو الناس إليه. وأحيل هنا إلى خبر وفد نجران إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وما فعلوه بالمسجد النبوى وموقف الرسول -عليه السلام- من هذا التصرف. كما أحيل إلى ما فعله أمير المؤمنين خليفة خليفة رسول الله- صلى الله عليه وسلَّم- عمر بن الخطَّاب -رضى الله عنه- فى بيت المقدس، كما أحيل إلى موقفه -رضى الله عنه - من المحاسب النصرانى عند أحد الولاة، وذلك لتكتمل الصورة فى مسألة النظر إلى الآخرين. على أن النظر إلى الآخرين من غير المسلمين فى المجتمع المسلم تحكمه تعاليم الشرع الحنيف، ولم يُترك مجال لسيطرة الشعور الذاتى، كما هى الحال مع جميع الأحكام الشرعية التى تتعلق

بالعلاقات مع الله تعالى مباشرة، ومع خلقه عامةً.

وربما أكون قد قصَّرت فى عدم الرجوع إلى الإسهامات الأجنبية مع القدرة على ذلك -ولله الحمد- فاقتصرت على ما كتب بالعربية. ولا أجد مبرِّراً لذلك سوى عدم توافر المصادر والمراجع الأجنبية عند إعداد هذه الوقفة. ولعل مدى قبولها والإفادة منها يوجب، فى طبعة أخرى، طرق هذه الوسيلة والإفادة منها فى الحصول على المعلومات التى قد ينظر إليها على أنها حديثة فهى تنهل من المنبع.

وقد كانت نواة هذه الوقفة مجموعة من المحاضرات حول التنصير ألقيت فى بعض مساجد مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وألقيت كذلك فى الفجيرة من الإمارات العربية المتحدة، وفى نيامى عاصمة النيجر، وفى الخرطوم عاصمة السودان. وقد لقيت خلال هذه المحاضرات دعوات من بعض الحضور لنشرمضمون هذه المحاضرات التى تعددت من حيث إلقائها وتكررت من حيث الموضوع نفسه . والمأمول أن تؤدى هذه الوقفة ما أريد منها ، وأن يكون فيها نفع لمن أراد الإفادة. ولعلها تفتح آفاقاً جديدة فى أذهان المستفيدين من القرَّاء حول ما تعانيه الأمة من تحديات خارجية تأتى فى مقدِّمتها - فى نظرى- حملات التنصير المستمرة. وتظل على أية حال جهد المقل، كما تظل من كلام البشر الذى يؤخذ منه ويرد.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، كما أسأله العون والمغفرة عن التقصير.

الرياض : فى رجب ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.   على بن إبراهيم النملة

* * *

مفهوم التنصير

التنصير فى مفهومه اللفظى اللغوى : هو الدعوة إلى اعتناق النصرانية، أو إدخال غير النصارى فى النصرانية. وفى الصحيحين ، واللفظ للبخارى عن أبى هريرة –رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «مامن مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسُّون فيها من جدعاء؟» والفطرة هنا هى الإسلام.[١]

وفى (لسان العرب) : والتنصُّر: الدخول فى النصرانية، وفى المحكم: الدخول فى النِّصْرِسى. ونصَّره: جعله نصرانياً...[٢] وأورد الحديث الشريف. وقريب منه قول الفيروزآبادى فى (القاموس المحيط) : «...والنصرانية والنصرانة واحدة النصارى، والنصرانية أيضاً دينهم، ويقال نصرانى وأنصار. وتنصَّر دخل فى دينهم، ونصَّره جعله نصرانياً...»[٣] وذكر مثل ذلك الزبيدى فى (تاج العروس) .[٤]

وقد حصل للمفهوم اللفظى شيء من التطوير مع تطوير النظرة إلى التنصير منذ بعثة عيسى – عليه السلام – فلم يكن هذا المفهوم حديث الإطلاق، وليس هو ظاهرة جديدة، بل لقد بدأ التنصير مع ظهور النصرانية، حيث كان مطلباً جاء به الإنجيل لنشر الدين النصرانى – وليس المسيحى –.[٥] وقد هاجرت طائفة من النصارى يقال لها (النساطرة) [٦] من (الرها) [٧] بعد أن أغلقت مدرستهم فيها (مدرسة الرها) على يد زينون [٨] سنة ٤٣٩م، فهاجرت الطائفة تحت قيادة (بارسوما)[٩] سنة ٤٥٧م إلى (فارس)، وأنشأت فيها مدرسة (نصيبين)، [١٠] وانتشرت من هذه المدرسة حملات التنصير على الطريقة النسطورية إلى جوف آسيا وبلاد العرب. وقد استعانت هذه الحملات التنصيرية بالفلسفة اليونانية [الإغريقية] لنشر التعاليم الخاصة حول طبيعة المسيح عيسى بن

مريم - عليه السلام -.[١١] .

ثم توالت الاستعانات بالثقافات الأخرى كالفارسية والهندية وغيرها مما أعطى هذه الديانة بعداً وثنياً خرج بها عن أصولها التى جاء بها عيسي - عليه السلام - حتى قيل إن أركان «المسيحية الجديدة وعقائدها وصلواتها وشعائرها تأثرت أو تحدرت من الديانة الوثنية التى كانت سائدة قبل ظهور المسيح - عليه السلام -، أو فى أيامه. وقد نقلها المؤمنون الجدد من ديانتهم الوثنية، فأقرَّتهم عليها الكنيسة، ثم تبنتها وجعلتها رموزاً تأويلية ملفَّقة ترضيهم وتلبِّس على غيرهم.» [١٢] .

وقبل هذا سعى شاؤول أو بولس ،[١٣] وقد كان يهودياً فتنصَّر، إلى نشر النصرانية على طريقته بعد أن زعم أن المسيح - عليه السلام - قد جاءه وهو فى طريقه إلى دمشق الشام، وطلب منه ترك اضطهاد النصارى والسير فى ركب الدعوة إلى النصرانية (التنصير)، وقد كان من أشدِّ الناس نكاية بالنصارى. [١٤] وبهذا يعدُّ بولس المنصِّر الأول، وواضع أسس التنصير العالمى. يقول محمد أمير يكن: «لايعتبر بولس المبشر المسيحى الأول فقط بل يعتبر واضع أسس التبشير المسيحى العالمى. ولا يزال المبشرون فى أيامنا هذه يستقون خططهم وترتيباتهم من معلمهم الأول بولس. فهو بحق مؤسس علم التبشير، وقد نجح فى هذا المضمار أيَّما نجاح.»[١٥]

ثم تعاقبت حملات التنصير وتزعمها فى الجهة الغربية من فلسطين اليعاقبة [١٦] الذين اختلفوا مع النساطرة حول طبيعة المسيح - عليه السلام - بين الناسوتية واللاهوتية.[١٧] .

ولعل أول علاقة بين المسلمين والنصارى، أو الإسلام والنصرانية، كانت على عهد الرسول محمد - صلى الله عليه وسلَّم- حينما أرسل وفداً من المهاجرين إلى ملك صالح فى الحبشة يقال له النجاشى[١٨] وما حصل من سبق قريش ومحاولتهم إثناء الملك عن إيواء المسلمين، وقد صاحب هذه المحاولة

نقاش وحجاج حول طبيعة المسيح -عليه السلام - ونظرة الإسلام له. [١٩]

ثم أرسل الرسول محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم- وفوداً إلى الأباطرة فى شمال الجزيرة العربية وشمالها الغربى مثل هرقل الروم و مقوقس مصر وغيرهما. وكان هناك أيضاً حوار ونقاش حول نظرة الإسلام والمسلمين للنصرانية ونبيها عيسى - عليه السلام-.[٢٠] .

وقد قدم على الرسول محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - فى المدينة النبوية وفد من نجران بين اربعة عشر وستين فرداً - حسب الروايات -، ومنهم العاقب وأبو الحارث و السيِّد، فدار بين النبى محمد - صلى الله عليه وسلَّم- وبينهم حوار ولجاج حول طبيعة المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام-. ثم عاد الوفد إلى نجران، وكان بينهم حوار طويل حول مادار بينهم وبين الرسول محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم- ورجع بعده بعض أعضاء الوفد كالعاقب و السيِّد إلى المدينة النبوية ، وأعلنا الشهادتين ونزلا فى بيت أبى أيُّوب الأنصارى[٢١] -رضى الله عنه- قرب مسجد الرسول محمد -صلَّى الله عليه وسلَّم-.[٢٢].

وعصر الخلفاء الراشدين -رضى الله عنهم- كان حافلاً بالعلاقات مع النصارى نتيجة لامتداد الفتح الإسلامى فى الشام ومصر وما وراءهما. وكان يتخلل هذه الفتوح وقفات علمية تكون فيها مناقشات وحوارات حول موقف الإسلام من النصرانية والنصارى. وأبرز مثال على هذه الوقفات وقفة الخليفة عمربن الخطَّاب -رضى الله عنه- فى (بيت المقدس) وموقفه من كنيسة القيامة وتجنبه الصلاة فيها.[٢٣] .

وكذا الحال فى العصر الأُموى مع الزيادة المطَّردة فى العلاقة من خلال الاستعانة بالنصارى فى بعض مقوِّمات بناء المجتمع المسلم الناهض، وبخاصة فيما يتعلق بالعلوم التطبيقية والبحتة.(٢٤) .

وتصبح العلاقة أكثر وضوحاً فى الغصر العبَّاسى الذى شهد ازدهاراً علمياً

وثقافياً وحضارياً استعان المسلمون فى أجزاء منه بالنصارى وغيرهم من أصحاب الثقافات الأُخرى فى دواوين الولاة وفى المؤسسات العلمية والتعليمية.[٢٥] .

وتشكّل الصراع بين المسلمين والنصارى إبّان الحروب الصليبية[٢٦] التى لا تعدو كونها شكلاً من أشكال التنصير اتُّبعت فيه القوة والغزو العسكرى. وكان يدور خلال الحملات الصليبية الثماني نقاش وحوار بين المسلمين والنصارى من علماء الدين الإسلامى ورجال الدين النصرانى، وكانت من نتائجه ظهور مجموعة من المؤلّفات تناقش حقيقة النصرانية وترد على النصارى فى زعمهم حول طبيعة المسيح -عليه السلام-[٢٧] .

وكما أن الحروب الصليبية لم تفلح عسكرياً فهى لم تفلح عقائدياً فى تشكيك المسلمين في رسالتهم، بل زادتهم تمسُّكاً بدينهم أدّى فى النهاية إلى خروج الصليبيين من أراضى المسلمين دون الفوز بما قدموا من أجله.[٢٨]

ثم تزعّم ريمون لول[٢٩] الإسبانى مهمة العودة إلى التنصير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها، وتعلّم اللغة العربية، وجال فى البلاد الإسلامية وناقش العلماء المسلمين فى بلاد كثيرة.[٣٠] .

ثم تأتى مرحلة الاحتلال (الاستعمار) فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) وما سبقهما من إرهاصات للاحتلال. وتعدُّ هذه المرحلة امتداداً للحروب الصليبية مع نقص فى الكفاءة وانعدام فى التوازن بين الطرفين المسلم والنصرانى. ويشكل الاحتلال كذلك شكلاً من أشكال التنصير، بل يعدُّ التنصير ممهداً للاحتلال أولاً، ثم يعدُّ الاحتلال مسهِّلاً لحملات التنصير بعدئذ[٣١] .

وفى هذه الأثناء بدأ التنصير يأخذ طابع التنظيم من خلال وجود مجموعة من المؤسسات والإرساليات[٣٢] التنصيرية، تنظمها وتدعمها الهيئات الدينية على اختلاف طوائفها والحكومات الغربية بخاصة. وظهرت للتنصير مؤسسات

داخل المؤسسة الكبرى كالمعاهد والجامعات والمنظمات والمراكز المنتشرة فى كثير من الأماكن.[٣٣] .

وهذا كلُّه أدَّى إلى الخروج بتصوُّر عن التنصير أشمل أحياناً، وأدقَّ أحياناً أُخرى، من مجرَّد دعوة غير النصارى إلى الدخول فى النصرانية. وينظر الآن إلى مفهوم التنصير الحديث بحسب البيئة المستهدفة من الحملات التنصيرية. ففى البيئة الإسلامية أثبتت الجهود عدم جدوى إخراج المسلمين من إسلامهم، وإدخالهم فى النصرانية. فصيغ المفهوم فى المجتمع المسلم بما يمكن الوصول إليه من محاولة إخراج المسلمين من دينهم، وليس بالضرورة إدخالهم فى النصرانية.[٣٤] .

وعندما تبين صعوبة إخراج المسلمين من دينهم عمد المنصرون إلى اتِّباع أساليب المستشرقين فى بذر الشكوك فى الإسلام لدى المسلمين، ونزع سلطان الدين من النفوس، كما يشير هاملتون جب[٣٥] فى كتابه (وجهة الإسلام) .[٣٦] اعتمد المنصرون أساليب بعض المستشرقين فى تحقيق هدف تنصيرى أدقَّ من المفهوم العام التقليدى للتنصير. وهذا ما أعلنه أيضاً بعض المنصرين فى أكثر من مناسبة. ومنها المؤتمر التنصيرى الذى عقد بجبل الزيتون فى (القدس) فى فلسطين المحتلَّة سنة ١٣٤٦هـ- ١٩٢٧م، ٣٧ وحضرته أربعون دولة من الدول الغربية الصليبية، حيث قام أحد أقطاب هذا المؤتمر قائلاً: «أتظنون أن غرض التنصير وسياسته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى؟ ان كنتم تظنون هذا فقد جهلتم التنصير ومراميه. لقد برهن التاريخ من أبعد أزمنته على أن المسلم لايمكن أن يكون نصرانياً مطلقاً، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة النصرانية على استحالة ذلك. ولكن الغاية التى نرمى إليها هى إخراج المسلم من الإسلام فقط، ليكونَ مضطرباً فى دينه، وعندها لا تكون له عقيدة يدين بها ويسترشد بهديها، وعندها يكون المسلم ليس له من

الإسلام إلا اسم أحمد أو مصطفى، أما الهداية فينبغي البحث عنها في مكان آخر»[٣٨] .

وفي خطاب سرى ألقاه الباباشنودة في الكنيسة المرقصية في الاسكندرية في شهر صفر من سنة ١٣٩٣هـ - مارس من سنة ١٩٧٣م ذكر فيه أنه «يجب مضاعفة الجهود التبشيرية التي وضعت وبنيت على أساس هدف اتفق عليه للمرحلة القادمة وهو زحزحة أكبر قدر من المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألاَّ يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية، فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم، وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم وصدق محمد»[٣٩] .

وبقيت الدعوة إلى إدخال غير النصارى في النصرانية جزءاً من المفهوم العام للتنصير، ولم تعد هي المفهوم الطاغي على هذه الحركة، لما فيها من الضيق في الاستجابة، مع وجود الإمكانات المادية والبشرية العاملة في مجال التنصير في مفهومه العام.

كما أن من مفهومات التنصير داخل المجتمع النصراني الإبقاء على النصارى داخل دينهم، وظهور دعوات طائفية من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذوكسية تتنافس فيما بينها لكسب أكبر عدد ممكن من النصارى أتباعاً لها. ويركز هذا المفهوم على حماية النصارى من التيارات الأخرى الجديدة من أن تكون ذات تأثير على النصرانية. ولا يبدو أن التركيز على الحماية واضح فيما يتعلق بالتيارات القديمة كاليهودية والفلسفات اليونانية [الإغريقية] والهندية والفارسية وغيرها، وذلك لوجود شيء من التزاوج بين النصرانية وهذه الثقافات القديمة منذ القدم بدءاً بحركة شاؤول أو بولس في النصف الثاني من القرن الميلادي الأول، الذي عمل على تسخير النصرانية لخدمة الأفكار اليهودية على المدى البعيد، الأمر الذي تحقق منذ زمن، واتضح تماماً بعد قيام وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلَّة. وقد انضم [المجلس العالمي للكنائس] إلى المنظمة للصهيونية العالمية علناً عام

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.[٤٠] .

ويظل مفهوم التنصير قابلاً للتطوير بحسب ما تقتضيه الحال، وبحسب البيئة التى يعمل بها، وبحسب التوجهات العقدية والسياسية التى تسيِّر المنصرين وتسعى بهم إلى تحقيق أهداف استراتيجية داخل المجتمعات التى يغلب عليها النصارى، والمجتمعات الأخرى التى يغلب عليها غير النصارى.

ومن مفهومات التنصير الحديثة «قيام مجموعة من المنصِّرين باحتلال منطقة معينة والعمل على تنصير أهلها (سكَّانها) وإنشاء كنيسة (وطنية) تؤول رعايتها تدريجياً للأهالى دون مساعدات من الكنائس الأم. ويتبنَّى السكَّان بدورهم مهمات التنصير فى المناطق التى لم يصل إليها التنصير»[٤١] مما يكون أدعى للقبول عندما يتولى التنصير أولئك الذين يجيدون اجتماعياً ولغوياً وبيئياً التخاطب مع الأهالى، فهم من أبنائهم. وهو بهذا المفهوم أضحى علماً قائماً بذاته تفرَّع من علوم اللاهوت وله حساب فى مجال الدراسات والأبحاث.[٤٢] .

ويتردد مصطلح (التبشير) فى كثير من الكتابات العربية، وهو مرادف لمصطلح (التنصير) . والتبشير هو التعبير النصرانى لحملات التنصير، وله عند النصارى تعريفات مختلفة بحسب العصور التى مرت بها النصرانية. فهو تارة إرسال مبعوثين ليبلِّغوا رسالة الإنجيل لغير المؤمنين بها، أو محاولة توصيل تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين بها، أو توصيل الأخبار السارَّة إلى الأفراد والجماعات ليقبلوا يسوع المسيح ربَّاً مخلِّصاً، وأن يعبدوه من خلال عضوية الكنيسة، وفى حالة عدم إمكان ذلك السعى إلى تقريب المعنيين من الأفراد والجماعات من الحياة النصرانية بما فى ذلك صرفهم عن دياناتهم بشتَّى الوسائل والأساليب.[٤٣] .

وهو عند المسلمين تنصير وأصحابه نصارى. ولم يتخلَّ المسلمون عن هذه المصطلحات إلا فى العصر الحديث عندما داهمت الأمة غزوات استعمارية وفكرية أُشيعت مصطلحاتها بين المسلمين.[٤٤] على أن هناك من يفرِّق بين

الإطلاقين – النصرانية والمسيحية – فيجعل المسيحية هى الدين المنسوب إلى شاؤول أو بولس التى تختلف فى جوهرها عن النصرانية التى يتحدث عنها القرآن الكريم، فليس نصارى اليوم، أو مسيحيُّو اليوم هم نصارى الأمس من أتباع عيسى – عليه السلام – قبل تدخُّل شاؤول أو بولس فى تعاليم النصرانية وتطويعها للوثنية وتقريبها إلى اليهودية أكثر من قربها الشرعى لها. وفى هذا يقول عمر فرُّوخ: «يجب التفريق بين النصرانية والمسيحية، النصرانية هى الدين السماوى الذى أُوحى إلى عيسى – عليه السلام – وهو دين قائم على التوحيد، وعلى أن المسيح عيسى بن مريم نبى. أمَّا المسيحية فهى مجموع التعاليم التى وضعها بولس (ت ٦٧م) والتى بنيت على التثليث الهندى ثم نسبت إلى المسيح الذى جُعِل إلهاً.»[٤٥] .

ومن مفهومات التنصير المتقدمة زمنياً، ولا تزال تستخدم، التعميد أو التغطيس، وذلك حينما يُغطَّس الطفل صغيراً فى ماء قد صلَّى عليه القسيس فأصبح مباركاً. وعند النصارى أن هذه الشعيرة ضرورية فى عدِّ المرء نصرانياً، حتى ليعمَّد أولئك الذين يتنصَّرون فى سن متقدمة بتغطيسهم بأى ماء يصلَّى عليه.[٤٦] .

* * *

هوامش المفهوم :

١- انظر أحمد بن على بن حجر العسقلانى. فتح البارى بشرح صحيح البخارى.- ١٣ مج - رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب -بيروت: دار المعرفة، د.ت- ٥١٢/٨ - حديث رقم ٤٧٧٥ فى كتاب القدر، وانظر الحديث بلفظ آخر فى ٢٤٦/٣ فى كتاب الجنائز.

٢- إبن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن أبى القاسم بن حبقة. لسان العرب.- ٨ مج - القاهرة: دار المعارف، د.ت- ٤٤٤٠/٧-٤٤٤١.

٣-الفيروز آبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب. . القاموس المحيط.- ٤ مج - القاهرة: مؤسسة الحلبى وشركاه، د.ت- ١٤٢/٢-١٤٣.

٤- محمد مرتضى الزبيدى - تاج العروس من جواهر القاموس-القاهره : المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ .

٥- من أجل الاستقرار على المصطلحات والدلالات يرجع إلى محمد عثمان ابن صالح. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات - المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م - ص٦٩- حيث يؤكد المؤلف أن المصطلحات التى ينبغى اعتمادها عند الحديث عن هذا الموضوع هى النصرانية والتنصير لا المسيحية والتبشير.ويقدم الأدلة العلمية المقنعة لهذاالاختيار.

٦- النساطرة أو النسطورية ينسبون إلى نسطور، يقولون : إن الله تعالى ثلاثة أشياء (أب وابن وروح القدس) كلها لم تزل، وأن عيسى -عليه السلام- إله تام كله وإنسان تام كله، وليس أحدهما غير الآخر. وأن الإنسان من عيسى

-عليه السلام- هو الذى صلب وقتل. وأن مريم -عليها السلام- ولدت الإنسان ولم تلد الإله، وأن الله تعالى هو الذى ولد الإله، وكانت هذه الفرقة غالبة فى الموصل والعراق وفارس وخراسان. أنظر ابن حزم الظاهرى، أبو محمد على بن أحمد. الفصل فى الملل والنحل- ٥ مج- د.م.: دار الفكر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م- ٤٩/١. وقد ولد نسطور (نحو ٣٨٠-٤٥١م) فى قيصرية بسورية. وقد حرمه مجمع أفسس المسكونى سنة ٤٣١هـ ونفى إلى مصر، ولكن مذهبه استمر. انظر محمد أبو زهرة. محاضرات فى النصرانية: تبحث فى الأدوار التى مرت عليها عقائد النصارى وفى كتبهم وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم - ط٤ - الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ- ص ١٦٥-١٦٧.

٧- الرها : مدينة بالجزيرة بين الشام والموصل. وهى بالرومية (أذاسا)، بناها الملك سلوتس فى السنة السادسة من موت السكندر مع اللاذقية وسلوقية وأفامية وحلب. أنظر ياقوت الحموى. معجم البلدان- ٥مج- بيروت: دار صادر، د.ت.- ١٢٧/١-١٢٨ و ١٠٦/٣-١٠٧.

٨- زينون إمبراطور بيزنطى (نحو ٤٢٦- ٤٩١م) حكم من سنة ٤٧٤م إلى وفاته. وقد واجهته قلاقل وثورات بسبب الفتن الدينية فى عصره. انظر:
FUNK AND WAGNALLS NEW ENCYCLOPEDIA.- 27 OLS
NEW YORK : FUNK AND WAGNALLS, 1975.- 25 / .

٩- بارسوما أو بارصوما أو برصوم أو برصوما (نحو ٤٢٠-٤٩٥م) كاتب سريانى تبع النسطورية، وصار أسقف نصيبين نحو ٤٥٠م فنقل إليها مدرسة الرها، وعمل على إشاعة النسطورية فى بلاد فارس. أنظر المنجد فى الأعلام- ط٢- بيروت: دار المشرق،١٩٦٩م- ص ٨٦. وإنما اعتمدت على (المنجد) فى هذا المجال لأنه يخدم هذه النوعية من الأعلام رغم النزعة النصرانية فى المعلومات التى يقدمها فى القسم اللغوى وقسم الأعلام. انظر فى نقد المنجد: إبراهيم عوض.

النزعة النصرانية فى قاموس المنجد.- الطائف: دار الفرقان، ١٤١١-١٩٩١م- ص٥١ ،

١٠- نصيبين مدينة من بلاد الجزيرة. يروى ياقوت عنها أثراً عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- فيه دعاء بفتحها وجعْلها بركة للمسلمين. وقد فتحها القائد المسلم عياض بن غنم واشتهرت بمدرستها السريانية. انظر ياقوت الحموى. معجم البلدان - ٢٨٨/٥-٢٨٩.

١١- يقول إسماعيل مظهر: « ولم يكونوا عاملين على نشر المسيحية فقط، بل أرادو أن ينشروا منها تعاليمهم الخاصة فى طبيعة المسيح، فأخذوا يستعينون على بث أفكارهم بأقوال ومذاهب منتزعة من الفلسفة اليونانية. فأصبح كل مبشر نسطورى بالضرورة معلماً فى الفلسفة اليونانية، كما أنه مبشر بالدين المسيحى». انظر إسماعيل مظهر. « تاريخ تطور الفكر العربى بالترجمة والنقل من الثقافة اليونانية -١-» .- المقتطف مج٦٦ ع٢ (١٩٢٥/٣/٣م) .- ص ١٤١-١٤٩.

١٢- أندريه نايتون وإدعار ويند وكارل جوستاف يونغ. الأصول الوثنية للمسيحية.- ترجمة سميرة عزمى الزين- د.م: المعهد الدولى للدراسات الإنسانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م- ص ٥- (سلسلة من أجل الحقيقة/٤). وانظر أيضاً فى الأصول الوثنية للنصرانية محمد طاهر التنير. العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية.- نشره وعلق عليه ونقحه وقدم له محمد بن إبراهيم الشيبانى- الكويت: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م- ١٥٦ص- (سلسلة ملل ونحل/٤).

١٣- فى سبيل التعرف المفصل على تأثير شاؤول أو بولس على الديانة النصرانية يرجع إلى هيم ماكبى. بولس وتحريف المسيحية.- ترجمة سميرة عزمى الزين.- د. م.: المعهد الدولى للدراسات الإنسانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م- ص١٠٣ (سلسلة من أجل الحقيقة/٣).

١٤- المعلومات عن شاؤول أو بولس مضطربة. فقد قيل إنه من مواليد طرسوس من مدن آسيا الصغرى، وأنه إسرائيلى من نسل إبراهيم -عليه السلام- من سبط بنيامين، ويزعم أنه كان فريسياً، ويذكر أنه تتلمذ على يد الحاخام جمالائيل فى أكاديمية القدس الفريسية، وكان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويجر رجالها ونساءها ويدخلهم السجون. ويذكر حادثة تحوله من اليهودية إلى النصرانية على النحو التالى: « ولما كنت ذاهباً إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة رأيت فى نصف النهار فى الطريق، أيها الملك، نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق من حولى وحول الذاهبين معى. فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمنى ويقول بالعبرانية: شاول شاول لماذا تضطهدنى؟ صعب عليك أن ترفس مناخس. فقلت أنا: من أنت ياسيد؟ فقال:أنا يسوع الذى تضطهده، ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين» . انظر هيم ماكبى. بولس وتحريف المسيحية - مرجع سابق- ص ٤٢ .

ومن هذا التقليد الذى سنه شاؤول أو بولس نجد أن كثيراً من النصارى يتهاونون فى مسألة رؤيتهم للمسيح -عليه السلام- ومجيئه إليهم فى المنام إلى اليوم. فقد ذكر لى مرة المشرف على السكن الذى كنت أقيم فيه فى الولايات المتحدة الأمريكية أنه كان يتمنى اقتناء سيارة أكبر من سيارته الصغيرة وتكون بمبلغ زهيد. يقول: فجاءنى عيسى فى المنام ودلنى على السيارة التى كانت فى خاطرى. فلما صحوت من النوم ذهبت إلى حيث السيارة واشتريتها بخمسة وعشرين دولاراً. كما أن أحد المنصرين الكبار فى الولايات المتحدة الأمريكية ويدعى أورال روبرتز وهو من أقطاب التنصير فى تلك البلاد وفى غيرها ومقره

ولاية أوكلاهوما ويدير مؤسسة تنصيرية وله جامعة تنصيرية كذلك. وقد حصل له عجز مالى فقام يوماً على أتباعه وهو يتباكى وذكر العجز المادى الذى يعانيه، كما ذكر أن عيسى -عليه السلام- قد زاره الليلة البارحة فى المنام وقال له إنه إن لم يتمكن من جمع ثمانية ملايين دولار فى غضون مدة محددة فسوف يعمل على القضاء عليه وإنهاء أعماله، فما كان منه إلا أن جمع من المال أكثر من المحدد وفى مدة أقل من المحددة، فنجا من التهديد له بالهلاك!! والقصص فى هذا المجال كثيرة.

١٥- محمد أمير يكن. يهوذا الأسخريوطى على الصليب-مالطا: دار إقرأ، (١٤١٠هـ) ١٩٩٠م- ص ٣٠٣.

١٦- اليعاقبة ينسبون إلى يعقوب الرهاوى أو البرذعانى. وكان راهباً بالقسطنطينية. يقول ابن حزم: « وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشة تامة ...» وقالوا: «إن المسيح هو الله وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان وأن الله تعالى عاد محدثاً وأن المحدث عاد قديماً وأنه تعالى هو كان فى بطن مريم محمولاً به فى أعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة وملوك الأمتين المذكورتين» . انظر ابن حزم. الفصل فى الملل والنحل- المرجع السابق-ص ٤٩ .

١٧- لا يزال الجدل قائماً بين الطوائف النصرانية حول طبيعة المسيح -عليه السلام- بين كونه إنساناً أو إلهاً أو يجمع بين اللاهوتية والناسوتية. ويقول الله تعالى مخاطباً عيسى -عليه السلام-: **﴿وإذْ قال اللهُ ياعيسى بن مريم أأنْت قُلْت للناس اتَّخذُونى وأمىَ إلهيْن من دونِ الله قال سُبْحانك ما يكون لى أن أقُولَ ما ليسَ لى بحقّ إنْ كنتُ قُلْته فقد علِمْته تعلَمُ ما فى نفسى ولا أعْلَم ما فى نفسك إنك أنت علاَّمُ الغيوبِ﴾** سورة المائدة الآية ١١٦ .

١٨ -النجاشي اسمه أصحمة ويعد من الصحابة -رضى الله عنهم أجمعين- وقيل من التابعين بحسب تعريف الصحابى. توفى فى حياة الرسول محمد-صلى الله عليه وسلم- وصلى عليه الرسول -عليه السلام-.انظر فى ترجمة النجاشي وذكر القصة أيضاً شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى. سير أعلام النبلاء- ٢٣ مج-ط ٣.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م- ٤٢٨/١-٤٤٣.

١٩ -قصة إيواء النجاشي للمسلمين ومحاولة قريش إثناءه عن ذلك وما دار من لجاج حول طبيعة المسيح -عليه السلام- قصة طويلة ذكرها أحمد فى المسند وابن هشام فى السيرة، والهيثمى فى المجمع وذكرها الحافظ ابن كثير فى البداية من رواية أم سلمة زوج النبى -صلَّى الله عليه وسلَّم ورضى الله عنها-ومنها قولها -رضى الله عنها-: « ... فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون فى عيسى؟ فقال له جعفر: نقول فيه الذى جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ عوداً ثم قال: ماعدا عيسى ماقلتَ هذا العود. فتناخرت بطارقته حوله، فقال: وإن نخرتم والله، إذهبوا فأنتم سُيوم بأرضى- والسيوم الآمنون - من سبكم غُرِم، ثم من سبّكم غُرِم. ما أحب أن لى دَبْرى ذهباً وأنى آذيت رجلاً منكم....» . أنظر الذهبى. سير أعلام النبلاء.- المرجع السابق. ٤٣٣/١-٤٣٤.

٢٠- عبد السلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام- ط٣- د. م.: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م- ص ٣٧٥-٣٧٨.

٢١- أبو أيوب الأنصارى الخزرجى النجّارى واسمه خالد بن زيد بن كليب ابن ثعلبة عبد بن عوف بن غنم . شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وغزا مع يزيد بن معاوية الروم وتوفى فى القسطنطينية سنة إحدى وخمسين. رضى الله عنه. انظر ترجمته عند

ابن الأثير، على بن محمد الجزرى، عز الدين أبى الحسن. أُسْد الغابة فى معرفة الصحابة- ٦ مج- د. م..: دار الفكر، د. ت- ٥/٢٥-٢٦.

٢٢- يذكر ابن إسحق انهم ستون راكباً، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، ومن هؤلاء ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، واسمه عبد المسيح، والسيد ثمالهم واسمه الأيهم، وأبو الحارث بن علقمة أخو بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم. وكان مشرفاً من ملوك الروم من أهل النصرانية. أنظر خبرهم عند محمد بن عبد الوهاب وعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب. مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم- الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د. ت.- ص ٤٢٢-٤٢٩.

٢٣- ينقل ابن كثير عن أبى جعفر بن جرير قوله: (... ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذى دخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء. ويقال إنه لبّى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ فى الأولى بسورة (ص) وفى الثانية بسورة (بنى إسرائيل)، ثم جاء إلى الصخرة فاستدلّ على مكانها من كعب الأحبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهود. ثم جعل المسجد فى قبلى بيت المقدس وهو العمرى اليوم ثم نقل التراب من الصخرة فى طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه فى ذلك، وسخّر أهل الأردن فى نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود، حتى إن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الالحوز لتلقى فى الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهو المكان الذى صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلأجل ذلك سمى ذلك الموضع القمامة

وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التى بناها النصارى هناك» . انظر: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ. البداية والنهاية.- دقق أصوله وحققه أحمد أبو ملحم وآخرون- ٨ مج- القاهر: دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.- ٥٧/٤ .

٢٤- أنظر الباب الخامس الحياة الاجتماعية والعقلية والاقتصادية لأهل الذمة فى العراق من كتاب توفيق سلطان اليوزبكى. تاريخ أهل الذمة فى العراق (١٢-٢٤٧هـ).- الرياض: دار العلوم ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، - ص ٣٦١-٤٤٧.

٢٥- انظر فصل أوربا بين العباسيين فى بغداد والأمويين فى الأندلس من كتاب عبد العظيم رمضان. الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية.- القاهرة: دار المعارف ١٩٨٣- ص ١٤٥-١٥٤ .

٢٦- بدأت الحروب الصليبية فى ربيع الثانى من سنة ٤٩١هـ-مارس من سنة ١٠٩٨م وانتهت فى شعبان من سنة ٦٩٠هـ- أغسطس من سنة ١٢٩١م. أنظر: سعيد عبدالفتَّاح عاشور. الحركة الصليبية- ٢ ج- القاهرة: مكتبة الأنجلو-المصرية، ١٩٧٦م- ١١٢٦/٢ .

٢٧- تذكر هنا مجموعة من الأمثلة على ما كتب عن النصرانية فى التراث الإسلامى، ومنها: أبو الفضل المالكى المسعودى. المنتخب الجليل من تخجيل من حرَّف الإنجيل- القاهرة: مطبعة التمدن، ١٣٢٢هـ، أبو الوليد سليمان بن خلف القاضى الباجى. جواب القاضى الباجى على رسالة راهب من فرنسا إلى المقتدر بالله صاحب سرقسطة- تحقيق محمد عبد الله الشرقاوى- القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٦م، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. درء تعارض العقل والنقل- تحقيق محمد رشاد سالم- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،وله أيضاً الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - القاهرة : مكتبة المدنى ومطبعتها ، و عمرو بن بحر الجاحظ. المختار فى الرد على النصارى - تحقيق محمد عبد الله

الشرقاوى- القاهرة: دار الصحوة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، وله أيضاً الرد على النصارى - نشرها يوشع فنكل - القاهرة: المكتبة السلفية، ١٣٨٢هـ.، وأبو المعالى الجوينى. شفاء الغليل فى الرد على من بدّل التوراة والإنجيل- الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٣هـ.، والشهرستانى . الملل والنحل-وأبومحمد عبدالله بن حزم. الفصل فى الملل والنحل- بيروت: دار الندوة الجديدة ، وأبو عبيدة الخزرجى. مقاطع هامات الصلبان ومراتع روضات أهل الإيمان- تحقيق محمد شامة - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٢م.، وعبد الملك الجوينى. شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل - : دار الشباب للطباعة، ١٩٧٨م.، ولابن قيم الجوزية. محمد بن أبى بكر شمس الدين. هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى.- بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت- ١٩٣ص.، ونصر بن يحيى بن عيسى المتطبب. النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية- تحقيق محمد عبد الله الشرقاوى- القاهرة: دار الصحوة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.- ص١٥٩ . وعبد الله الترجمان الميورقى، أبو محمد. تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب- دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الداعوق-بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م- ص٣٢٠ . ومحمد طاهر التنير. العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية - مرجع سابق - ص١٥٦ . وحققه أيضاً محمد عبد الله الشرقاوى - القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م. وأبو حامد الغزالى. الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل - تقديم وتحقيق وتعليق محمد عبد الله الشرقاوى - ط ٢ - القاهرة: دار الهداية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.- ص١٨٤ .

٢٨- يقول عبد العظيم رمضان: « و بانتهاء الحروب الصليبية تكون قد انتهت صفحة صاخبة من الصراع بين العرب وأوربا، لتبدأ صفحة أخرى. ذلك أن الفكرة الصليبية نفسها لم تنته، وسوف تحملها جزيرة قبرص فى القرن الرابع

عشر، ثم يحملها قادة الكشف الجغرافى ووكلاء البرجوازية التجارية من أمثال ألبوكيرك و(فاسكو دا جاما) و(كبرال) و(ألميدا) و(دياز). وتستمر على طول العصور الحديثة، حتى ترث الفكرة الصهيونية الفكرة الصليبية، ويحل الصهيونيون الأوربيون محل الصليبيين الأوربيين». أنظر عبد العظيم رمضان. الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية- مرجع سابق- ص٥٢٩.

٢٩- ريمون لول (١٢٣٢م -١٣١٥م) راهب فرنسيسكانى. مارس التنصير فى أفريقيا، وله مؤلفات بالعربية. أنظر المنجد فى الأعلام- مرجع سابق- ص٢٤٧.

٣٠- أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامى - لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافى - بيروت: مكتبة أسامة بن زيد د.ت.- ص١٢-١٣.

٣١- أحمد شلبى. الحروب الصليبية: بدؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن؛ عرض للهجمات الصليبية الغربية على العالم الإسلامى عبر العصور - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، [١٤٠٦هـ-١٩٨٦م].- ص ١٤٣-١٥٣.

٣٢- الإرسالية جماعة من المنصَّرين. وتضم الإرسالية عدة مراكز تنتشر فى المدن والقرى ويطلق عليها المركز التنصيرى أو مركز التنصير باستخدام مصطلح «التبشير» بدلاً من التنصير. وتسعى إلى إقامة الكنائس المحلية الوطنية التى تؤول رعايتها للسكان الأصليين. أنظر: إبراهيم عكاشة على. التبشير النصرانى فى جنوب السودان «وادى النيل»- القاهرة: دار العلوم، ١٩٨٢م- ص ٢٤-٢٥. ومن أبرز الإرساليات المشهورة عندنا الإرسالية العربية الأمريكية التى يعد من مهندسيها والمخططين لها والمنفذين كذلك السموأل (صموئيل) زويمر وستأتى

ترجمته. أنظر فى الحديث عن هذه الإرسالية: عبد المالك التميمى. التبشير فى منطقة الخليج العربى: دراسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى- الكويت: شركة كاظمة، ١٩٨٢م- ص ٤٣-٧٨.

٣٣- انظر «أشهر المراكز والمعاهد التنصيرية» فى: (التنصير) من: الموسوعة الميسَّرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة - ط ٢- الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م- ص ١٦٤.

٣٤- ينقل عن البابا « شنودة » قوله: «إنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية، على أن الخطة التبشيرية التى وضعت بنيت على أساس أن الهدف الذى اتفق عليه من التبشير فى المرحلة القادمة هو التركيز على التبشير بين الفئات والجماعات أكثر من التبشير بين الأفراد وذلك لزحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم، أو التمسك به، على ألا يكون من الضرورى دخولهم فى المسيحية. ويكون التركيز فى بعض الحالات على زعزعة الدين فى نفوس المسلمين، وتشكيك الجموع الغفيرة فى كتابهم، وفى صدق محمد. وإذا نجحنا فى تنفيذ هذا المخطط التبشيرى فى المرحلة القادمة فإننا نكون قد نجحنا فى إزاحة هذه الفئات عن طريقنا. وحتى هذه الحالة إن لم تكن لنا فلن تكون علينا» . أنظر: إبراهيم السليمان الجبهان. ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير - الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ - ص ٢٧.

٣٥- هاملتون جب مستشرق بريطانى (١٨٩٥-١٩٧١م)، اهتم بالأدب العربى، وتتلمذ على كينيدى، وخلف مرجليوث فى أكسفورد. وله إسهامات عدة حول الإسلام والعربية والرحلات. أنظر: نجيب العقيقى. المستشرقون- ٣مج- ط٤ - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م - ٢/١٢٩-١٣١.

٣٦- ذكر نجيب العقيقى أن من كتبه (الاتجاهات الحديثة فى الإسلام)،

وهو خير كتبه. وقد كلف مجموعة من المستشرقين بالكتابة فيه، واكتفى منه بالمقدمة والخاتمة. أنظر: نجيب العقيقى. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢/ ١٣٠ . ويترجم عنوان الكتاب أحياناً بعنوان (أين يتجه الإسلام؟) ، لأن العنوان الأصلى بالإنجليزية جاء على صيغة استفهام.?WITHER ISLAM .

٣٧- لم تكن فلسطين فى ذلك التاريخ محتلة من اليهود كما هى عليه الآن، بل كانت محتلة من نصارى الإنجليز، إذ كانت تحت الانتداب البريطانى. وملة الكفر عندنا واحدة. يقول الله تعالي: ﴿ **ولن ترضَى عنْك اليهودُ ولا النصارى حتى تتَّبع ملَّتهم**﴾ من الآية ١٢٠ من سورة البقرة. فعبَّر القرآن الكريم هنا بالملة مفردة.

٣٨- إبراهيم عكاشة على. ملامح عن النشاط التنصيرى فى الوطن العربى- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م- ص٣٨.

٣٩- محمد طاهر التنير. العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية.- مرجع سابق.- ص ١٨.

٤٠- أسعد عبد الرحمن. المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٨٢-١٩٨٢-ط٢- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠م- ص ٢٠٢.

٤١- إبراهيم عكاشة على.التبشير النصرانى فى جنوب السودان «وادى النيل»- المرجع السابق.- ص ٢٤-٢٥.

٤٢-إبراهيم عكاشة على «علم التبشير: مناهجه وتطبيقاته.» مجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)-ع ٥- (١٤٠١هـ-١٩٨١م)-ص ١٢٥-١٥٠.

٤٣- محمد عثمان صالح. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير - مرجع

سابق – ص٤٧ .

٤٤–محمد عثمان صالح. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: – مرجع سابق – ص٥٤ .

٤٥– عمر فرُّوخ. « الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة»– فى: المستشرقون والإسلام– تأليف نخبة من العلماء المسلمين– جدة: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م– ص ١٢٥–١٤٣ ، والنص من الهامش فى ص ١٢٥ .

٤٦– فى مسألة التعميد أو التغطيس أو التنصير بهذا المفهوم أنظر: عبدالله الترجمان الميورقى، أبو محمد. تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب– مرجع سابق– ص١٣٤–١٣٩ . وانظر أيضاً: محمد أبو زهرة. محاضرات فى النصرانية.– مرجع سابق،– ص ١٣٩–١٤٠ . وانظر كذلك: محمد طاهر التنير. العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية– مرجع سابق– ص ١١٥–١١٨ .

* * *

أهداف التنصير والمنصِّرين

من خلال عرض مجموعة من المفهومات المتغيِّرة للتنصير يمكن الخروج بمجموعة من الأهداف التى يسعى المنصرون إلى تحقيقها بوسائل شتَّى سيأتى الحديث عنها. وتتراوح الأهداف فيما يتعلق بالوصول إليها زماناً إلى أهداف قريبة المدى وأخرى بعيدة المدى غير ملموسة النتائج بوضوح. ويظهر أن من أهم الأهداف التى يسعى المنصرون إلى تحقيقها فى مواجهة الإسلام هى كالتالى:

١ – الحيلولة دون دخول النصارى فى الإسلام، وهذا الهدف موجه الجهود فى المجتمعات التى يغلب عليها النصارى. ويعبِّر عنه البعض بحماية النصارى من الإسلام.

٢– الحيلولة دون دخول الأمم الأخرى – غير النصرانية – فى الإسلام واالوقوف أمام انتشار الإسلام بإحلال النصرانية مكانه، أو بالإبقاء على العقائد المحلية المتوارثة.

٣– إخراج المسلمين من الإسلام، أو إخراج جزء من المسلمين من الإسلام. وهذا هدف طويل المدى، لأن النتائج فيه لا تتناسب مع الجهود المبذولة له. ذلك لأنه يسعى إلى هدم الإسلام فى قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله تعالى، وجعلهم مسَخاً « لا تعرف عوامل الحياة القوية التى لا تقوم إلا على العقيدة القويمة والأخلاق الفاضلة»[١] .

٤– بذرالاضطراب والشك فى المبادىء الإسلامية لمن أصروا على التمسك بالإسلام ولم يُوجدِ فيهم الهدف الثالث. وقد تكرر هذا الهدف فى محاولات المنصر المعروف السموءل (صاموئيل) زويمر[٢] الذى خاض تجربة التنصير فى البلاد العربية بعامة وركز على منطقة الخليج العربية بخاصة. وقد أرسل إلى لوشاتليه[٣] رسالة فى١٣٢٩/٨/٧هـ – ١٩١١/٨/٢م قال فيها: «إن لنتيجة

إرساليات التبشير فى البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد ومزية هدم، أو بالأحرى مزيتى تحليل وتركيب. والأمر الذى لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير- الذى أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى وجهات أخرى - هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه، ولا ينبغى لنا أن نعتمد على إحصائيات التعميد فى معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامى من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفى.»[٤] .

ويعقّب شاتليه على رسالة زويمر بقوله: «ولا شك فى أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوروبية، فبنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يحتكك الإسلام بصحف أوروبا وتتمهّد السبل لتقدُّم إسلامى مادى، وتقضى إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التى لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها.»[٥] .

٥- الإيحاء بأن المبادىء والمثل النصرانية أفضل من أى مبادىء أخرى لتحلّ هذه المبادىء النصرانية محلّ المبادىء والمثل الإسلامية.

٦- الإيحاء بأن تقدم الغربيين الذى وصلوا إليه إنما جاء بفضل تمسكهم بالنصرانية، بينما يُعزي تأخُّر العالم الإسلامى إلى تمسُّكهم بالإسلام.

٧- تعميق فكرة سيطرة الرجل الغربى [الأبيض] على بقية الأجناس البشرية الأُخرى، وترسيخ مفهوم الفوقية والدونية تعضيداً للاحتلال بأنواعه والتبعية السياسية من الشعوب والحكومات الإسلامية للرجل الأبيض. ومن ثَمَّ يستمر إخضاع العالم الإسلامى لسيطرة الاحتلال، ويستمر التحكُّم فى مقدراته

وإمكاناته.[٦] .

٨- ترسيخ فكرة قيام دولة (وطن قومى) لليهود فى أى مكان أولاً، ثم فى فلسطين المحتلَّة بعدئذٍ، آخذاً فى الحسبان أن الإنجيل العهد الجديد بعد تحريفه بأيدٍ يهودية] يتضمَّن تعاليم تدعو إلى هذه الفكرة، وأنها أضحت واجباً (مقدَّساً) على النصارى.[٧] ومن ناحية أخرى التخلُّص من الجنس اليهودى من أوربا ثم أمريكا الشمالية هدفاً فرعياً لهذا الهدف العقدى، الأمر الذى لم يتم رغم استمرار تجمُّع اليهود فى فلسطين المحتلَّة.

٩- التغريب، وذلك بالسعى إلى نقل المجتمع المسلم فى سلوكياته وممارساته بأنواعها السياسى والاقتصادى والاجتماعية والأُسرية والعقدية من أصالتها الإسلامية إلى تبنى الأنماط الغربية فى الحياة، وهى المستمدة من خلفية دينية نصرانية أو يهودية. وفى هذا يقول سيرج لاتوش فى كتابه (تغريب العالم) : «إن تغريب العالم كان لمدة طويلة جداً -ولم يكف كلياً عن أن يكون- عملية تنصير. إن تكريس الغرب نفسه للتبشير بالمسيحية يتضح تماماً، قبل الحروب الصليبية الأولى، فى انطلاقات التنصير قسراً. وإن مقاومة شازل مارتل فى بواتييه، وأكثر من ذلك تحويل السكسون إلى المسيحية بوحشية، على يد القديس بونيفاس (٦٨٠-٧٥٤) : ألا يشكل ذلك الحرب الصليبية الأولى، وأقصد القول إنه شهادة لتأكيد ذاتية الغرب كعقيدة وكقوة؟.. وهكذا، نجد أن ظاهرة المبشرين بالمسيحية، هى بالتأكيد حقيقة ثابتة للغرب، باقية فى ضميره بكل محتواها الدينى، يجدها الإنسان دائماً فى العمل تحت أكثر الأشكال تنوعاً.. واليوم أيضاً، فإن أغلب مشروعات التنمية الأساسية فى العالم الثالث تعمل بطريق مباشر أو غير مباشر، تحت شارة الصليب.»[٨] .

١٠- والهدف الذى يذكر هنا متأخِّراً قصداً هو إدخال النصرانية أو إعادتها إلى عدد كبير من البلاد الإسلامية.وغيرها وبخاصةً فى أفريقيا وآسيا وأمريكا

الجنوبية. وفى هذا يقول روبرت ماكس أحد المنصِّرين من أمريكا الشمالية: « لن تتوقف جهودنا وسعينا فى تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب فى سماء مكَّة ويقام قُدَّاس الأحد فى المدينة.»[٩] .

ويأتى هذا الهدف متأخِّراً فى الترتيب لأنه قد تبين من تجارب المنصرين فى المجتمعات الإسلامية بخاصَّة، والتى وصل إليها الإسلام بعامة، أنه ليس بالضرورة أن يكون هذا الهدف هو إدخال الآخرين فى النصرانية بقدر ما هو محاولة لضمان استمرار سيطرة النصرانية على الأُمم الأُخرى.

ويمكن القول بأن هذه الأهداف المذكورة أعلاه تمثِّل مجمل ما يسعى المنصرون بعامة إلى تحقيقه فى حملاتهم التنصيرية. وتظل هناك أهداف فرعية قد تُشتقُّ من مجمل هذه الأهداف المذكورة ويسعى بعض المنصرين إلى التركيز عليها دون غيرها بحسب ما تقتضيه البيئة التى يعملون بها. كما يمكن القول من هذا المفهوم أيضاً إن هذه الأهداف جميعها وتفريعاتها ليست بالضرورة هى مجتمعةً مجال اهتمام جميع المنصرين. ولا يُظنُّ أن كلَّ منصِّر يمكن أن يعمل على تحقيقها، بل قد يبدو على بعض المنصِّرين عدم حماسهم لبعض الأهداف المذكورة هنا. وربما يرفض البعض أن يُزجَّ فى سبيل تحقيقها، ذلك لأنه غير مؤهَّل لتحقيق كل ما يريد التنصير تحقيقه من ناحية، بسبب عدم تخصصه فى جميع فروع التنصير الذى أضحى - كما يُقال - علماً من العلوم التى تُتلقَّى على مقاعد الدراسة وقاعات المحاضرات، وأصبحت فكرة التخصص أيضاً مسيطرةً على العملية التنصيرية، كما أصبحت معاهد التنصير ومدارسه تنشىء أقساماً فيها وشُعَباً، فى كلٍّ قسم أو شعبة تركيز على هدف من الأهداف، أو على بيئة جغرافية أو ثقافية تفرض الهدف الواحد أو الأكثر مما يمكن تحقيقه فى هذه البيئة أو تلك.[١٠] .

وإذا لاحظنا أن بعض المنصرين مدفوعون بالحماس والعاطفة الدينية والرغبة

الصادقة فى إنقاذ العالم ندرك أن الرغبة فى تحقيق أهداف احتلالية (استعمارية) أو أهداف سياسية قد لا تكون واردة عند هذه الفئة، لأنهم فى الغالب غير متفقين مع السياسات الغربية الداخلية والخارجية. فالحماس والعاطفة الدينية يمليان عليهم أن هذه الدول الغربية عَلمانية لا تأخذ من الدين إلا ما يخدم أهدافها وسياستها فى الداخل والخارج.

ولعله من الموضوعية بمكان أن نذكر أن هناك منصرين مخلصين فى أعمالهم التنصيرية من منطلق دينى بحت. وقد رأوا فى دينهم أنه هو الخلاص للبشرية من المشكلات العاصفة بها. وإذا ما وجد البديل الحق ووجدوا فيه الخلاص الحق تركوا التنصير والنصرانية واعتنقوا هذا البديل الحق وصاروا دعاة له.[١١] .

* * *

هوامش الأهداف :

١- أحمد عبد الوهاب.حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر- القاهرة: مكتبة وهبه، ١٤٠١هـ-١٩٨١م- ص ١٦٢.

٢-السموءل أو صاموئيل شاتليهلو زويمر من أقطاب التنصير فى البلاد العربية. ولد سنة ١٨٦٧، وتوفى سنة ١٩٥٢م. ويعد رئيس المستشرقين فى الشرق الأوسط. تولى تحرير مجلة العالم الإسلامى التى أنشأها مع ماكدونالد، وله آثار فى العلاقات بين الإسلام والنصرانية. أنظر: نجيب العقيقى. المستشرقون- مرجع سابق- ١٣٨/٣ حيث عده العقيقى من المستشرقين الأمريكيين.

٣- أ. لو. شاتليه أستاذ المسائل الاجتماعية الإسلامية فى فرنسا وأحد المنصرين المستشرقين الفرنسيين فى هذا القرن الميلادى. رأس تحرير مجلة العالم الإسلامى الفرنسية. أنظر ترجمته فى الغارة على العالم الإسلامى- ص ٥.

٤- أ. ل . شاتليه. الغارة على العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص ٨.

٥- أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص ٨-٩.

٦- أحمد عبد الوهاب. حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر- مرجع سابق- ص ١٦٢.

٧- محمد على أبو حمدة . الأخطبوط الصهيونى رأى العين- عمَّان: مكتبة الرسالة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م- ص ١٠١-١٠٨.

٨- نشر كتاب سيرج لاتوش (تغريب العالم) فى باريس سنة ١٩٨٩م، ونقل عنه أحمد عبد الوهَّاب بعض المقتطفات. أنظر أحمد عبد الوهَّاب. التغريب: طوفان من الغرب- القاهرة: مكتبة التراث الإسلامية، ١٤١١هـ -١٩٩٠م- ص ١٣.

٩- عبد الودود شلبى. الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير فى العالم الإسلامى- القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م- ص ١٣.

١٠- إبراهيم عكاشة على. علم التبشير: مناهجه وتطبيقاته- مرجع سابق.

١١- طرق عليَّ الباب شاب أمريكى قصداً إلى تذكيرى ووعظى، وفى سياق الحديث سألته السؤال التقليدى عن سبب دخوله الإسلام، فذكر لى أنه كان فى مهمة تنصيرية فى الهند، وقد رأى فى إحدى القرى مِجموعة من الصفوف المتراصة بشكل رتيب يثير الانتباه. يقول: فانتظرت حتى تفرق الناس ثم سألت عمَّن يجيد الإنجليزية فانبرى أحد الشباب ممن يجيدونها فسألته عن هذا الأداء الذى كانوا بصدده فأخبرني أنهم كانوا جميعاً يصلون لله- ولعل ذلك اليوم كان عيداً- فسألته عن ذلك الرجل الذى يتقدم هذه الجموع فأفاد أنه الإمام إذا ركع ركعوا وإذا سجد سجدوا، فانصرفت وأنا أفكر فى هذا النظام البديع. وقرأت كثيراً عن الإسلام حتى أذن الله لى بالهداية، وأنا الآن أحاول التكفير عما فعلته فى الماضى فأدعو إلى الله تعالى وإلى اتباع سنة محمد- صلى الله عليه وسلم-. وكانت المقابلةفى الولايات المتحدة الأمريكية. وفى ألمانيا (الغربية) قابلت أحد المجندين الأمريكيين فى أحد المؤتمرات الإسلامية فى ميونخ، وكانت إجابته على السؤال التقليدى أنه كان يُعَدُّ ليكون قسِّيساً وكان ممارسا للطقوس النصرانية إلا أنه كان يخلط بين الثلاثة عندما لا يصلى لهم جميعاً، فيحتار لمن صلى. حتى أعطته مدرِّسة مسلمة نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم، فقرأ فيها فوجد التوحيد فأسلم. وفى « القصيم » قابلت رجلاً من سريلانكا قدم بتأشيرة عامل، ولكنه كان قسِّيساً جاء ليثبت إخوانه النصارى العاملين فى البلاد. واهتدى إلى الإسلام وأصبح داعية بين أبناء قومه وغيرهم. وله تأثير على المسجونين كبير... وهكذا ما يرى كثير من الناس الحق أبلج إلا اتبعوه.

وسائل التنصير والمنصِّرين

قبل الخوض فى عدِّ الوسائل لابدَّ من توزيعها بحسب أدائها. فهناك وسائل صريحة وأخرى خفية أو مختفية، كما أن هناك وسائل تقليدية وأخرى حديثة فرضتها الحالة التى وصل إليها العالم اليوم فى تقنية الاتصال والمواصلات وتنوع الوسائل وتعددها.

وأبرز هذه الوسائل التنصيرية الوسائل الصريحة.والتنصير الصريح على نوعين:

التنصير العلمى القائم على النقاش أو على السفسطة والتشكيك على طريقة الاقتضاب[١] المعروفة فى مثل قول الشاعر:

ماقال ربك ويل للألى سكروا   بل قال ربك ويل للمصلينا[٢]

والنوع الثانى من أنواع التنصير الصريح هو التنصيرالقسرى، ويتمثل فى الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش واختطاف الأطفال[٣] والقرصنة البحرية وإحراق المسلمين الرافضين للتنصير والغزوات والاحتلال (الاستعمار).

ويمكن أن يتحقق القيام بالتنصير الصريح من خلال قيام مؤسسات تنصيرية ترعى الحملات وتمكن لها وتمدها بما تحتاجه من الموارد المالية والبشرية. وتتلقى الدعمين المادى والمعنوى من الحكومات الغربية ومن المؤسسات والأفراد عن طريق المخصصات والتبرعات.

ومن أبرز هذه المؤسسات التنصيرية قيام الجمعيات المتعددة فى أوروبا وأمريكا، أو فى البلاد المستهدفة. ومن أمثلتها الجمعيات التالية مرتبة حسب تاريخ إنشائها:

١- جمعية لندن التنصيرية، وتأسست سنة ١١٧٩هـ-١٧٦٥م، وهى موجهة إلى أفريقيا.

٢- جمعيات بعثات التنصير الكنسية، وتأسست في لندن سنة ١٢١٢هـ-١٧٩٩م، وهي موجهة إلى الهند ومنطقة الخليج العربي.

٣- جمعية تبشير الكنيسة الأنجليكانية البريطانية، وتأسست سنة ١٢١٤هـ-١٧٩٩م، وتدعم من الأسرة المالكة في بريطانيا.

٤- جمعية طبع الإنجيل البريطانية، وتأسست سنة ١٢١٩هـ-١٨٠٤م، وتهتم بالطبع والترجمة والتوزيع.

٥- جمعية طبع الإنجيل الأمريكية ، وتأسست سنة ١٢٣١هـ ١٨٦١م ، ولها مطابع ومكتبات تجارية في البلاد العربية كمطبعة النيل ومكتبة الخرطوم [٤].

٦- مجلس الكنيسة المشيخية الأمريكية، ونشأت سنة ١٢٥٣هـ - ١٨٣،. وهي موجهة إلى العالم العربي.

٧- جمعية الكنيسة التنصيرية، ونشأت سنة ١٢٦٠هـ-١٨٤٤م، وتركز على التعليم والخدمات العلاجية. ويسهم الألمان فيها بجهود.

٨- جمعية الشبان النصارى، ونشأت سنة ١٢٧١هـ-١٨٥٥م، .

٩- جمعية الشباب القوطيين للتنصير في البلاد الأجنبية.

١٠- الكنيسة الإصلاحية الأمريكية، وتأسست سنة١٢٧٣هـ- ١٨٥٧م، وهي موجهة إلى منطقة الخليج العربي.

١١- جمعية الروح القدس في زنجبار ، وتأسست سنة ١٢٨٠هـ-١٨٦٣م، وهي كاثوليكية ، وتهتم بالعلاج والتعليم الصناعي.

١٢- أنشأ البابا ليو الثالث عشر سنة ١٢٩٥هـ- ١٨٧٨م أُسقُفيتين لمباشرة التنصير الكاثوليكي في شرق أفريقيا ، واحدة منها في منطقة بحيرة فكتوريا والأخرى في منطقة بحيرة تنجانيقا .

١٣- اتحاد البعثة التنصيرية الإنجيلية، وتأسست سنة ١٣٠٧هـ-١٨٩٠م في

الولايات المتحدة الأمريكية .

١٤- الإرساليات العربية الأمريكية، ونشأت سنة ١٣١١هـ-١٨٩٤م فى الولايات المتحدة الأمريكية، وتهتم بمنطقة الخليج العربى.

١٥- جمعية اتحاد الطلبة النصارى، وتأسست سنة ١٣١٣هـ-١٨٩٥م.

١٦- حملة التنصير العالمية، وتأسست سنة ١٣٣١هـ- ١٩١٣م فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتهتم بالطب والتعليم والأدب والترجمة .

١٧- زمالة الإيمان مع المسلمين، وأنشئت سنة١٣٣٤هـ- ١٩١٥م فى بريطانيا وكندا، وتهتم بالمطبوعات.

١٨- عمودية التعبئة، وتأسست سنة١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م، وهى موزعة، وتعني بتدريب الشباب على التنصير.

١٩-جمعية تنصير الشباب، ونشأت سنة ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.

٢٠- الامتداد النصرانى فى الشرق الأوسط، ونشأ سنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م. وهو موزع ، وتهتم بالمطبوعات .

٢١- الإرسالية الجامعية لوسط أفريقيا، وقد قامت تلبية لنداءات المكتشفين الجغرافيين الإنجليز فى الجامعات والجمعيات البريطانية .

٢٢- إرسالية الكنيسة الحرة الاسكتلندية. وتهتم بالصناعات اليدوية والزراعة.

٢٣- جمعية التنصير فى أرض التوراة العثمانية.

٢٤- جمعية تنصير شمال أفريقيا.

٢٥- لجنة التنصير الأمريكية.

٢٦ - إرسالية كنيسة اسكوتلندة الرسمية ، وقامت تلبية لندا المستكشف الإنجليزى ليفينجستون.

٢٧- هذا بالإضافة إلى الجمعيات المحلية فى العواصم والمدن الإسلامية يقوم

عليها عاملون محليون مدعومون من جمعيات تنصيرية وأمريكية.[٥]

وهذه نماذج فقط من الجمعيات التنصيرية المتعددة والمتنوعة الاتجاهات والتخصصات. وهناك موسوعة كاملة بالإنجليزية ترصد المعلومات عن معظم الجمعيات التنصيرية فى العالم.[٦]

وقد وضع المؤتمر التنصيرى المعقود بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م مجموعة من التوصيات لهذه الوسائل الصريحة تعد قواعد ومعالم للحملات التنصيرية فى المجتمع المسلم بخاصة.

ا- ففيما يتعلق بالمنصر أو المنصرة أوجبوا عليهما التالى:

١ - تعلُّم اللهجات المحلية ومصطلحاتها.

٢ - مخاطبة العوام على قدر عقولهم.

٣- إلقاء الخطب بصوت رخيم وفصيح المخارج.

٤ - الجلوس أثناء إلقاء الخطب.

٥- الابتعاد عن الكلمات الأجنبية أثناء إلقاء الخطب.

٦ - الاعتناء باختيار الموضوعات.

٧- العلم بآيات القرآن والإنجيل.

٨- الاستعانة بالروح القدس والحكمة الإلهية.

ب- استخدام الوسائل المحببة إلى المسلمين من العوام كالموسيقى وعرض المناظر بالفانوس السحرى، أى استخدام تقنيات التعليم.

ج- دراسة القرآن للوقوف على ما فيه.

د- عدم إثارة نزاعات مع المسلمين.

هـ- إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداءً لهم.

و- إيجاد منصرين من بين المسلمين ومن أنفسهم.

ز - زيارة المنصرات لبيوت المسلمين والاجتماع بالنساء وتوزيع المؤلفات

والكتب التنصيرية عليهن، وإلقاء المحاضرات الدينية فى تعاليم الإنجيل.[٧]

أما التنصير المختفى فيُنفَّذ بوسائل متعددة، ومن أهمها الوسائل التالية:

١- البعثات الدبلوماسية فى البلاد الإسلامية عن طريق السفارات أو القنصليات أو الملحقيات الثقافية والتجارية والمؤسسات الأجنبية الرسمية الأخرى. وعلى أية حال يدرَّب بعض العاملين فى المؤسسات الأجنبية الرسمية من سفارات وغيرها على التنصير قبل انخراطهم العملى فى السلك الدبلوماسى، ويصدق هذا على العاملين النصارى. ومثال ذلك قصة القنصل البريطانى فى زنجبار جون كرك الذى دعا سنة ١٢٩٤هـ- ١٨٧٧م الأمين العام لجمعية الكنيسة التنصيرية هنرى رايت إلى سرعة إرسال المنصرين، وأهمية ذلك الدينية والسياسية فى الوقوف فى وجه ما سماه بالامتداد المصرى التركى، أى الوقوف فى وجه المد الإسلامى.[٨]

ومما يدخل فى أعمال الملحقيات الثقافية الأجنبية، أى غير الإسلامية، فى هذا المجال إنشاء المدارس الأجنبية للجاليات الأجنبية وطبعها بالطابع التنصيرى فى المناهج والأنشطة غير المنهجية، وإقامة أنشطة ثقافية ظاهرها التعريف بالبلاد التى تمثلها الملحقية، وفى باطنها الدعوة المختفية إلى التنصير.

٢- المستكشفون الجغرافيون فى البلاد الإسلامية وغيرها، حيث توفدهم الجامعات والجمعيات العلمية للنظر فى قضايا جغرافية وطبيعية علمية تحتاج إلى الوقوف عليها من أمثال ليفنجستون[٩] « وستانلى »[١٠] اللذين بعثا من الجمعية الجغرافية الملكية فى بريطانيا فى مهمة اكتشاف منابع النيل. وفى أوغندا وجد المستكشف « ستانلى » أن الملك موتيسا وحاشيته قد اعتنقوا الإسلام منذ زمن بعيد - حيث سبق المسلمون إلى أفريقيا - فانزعج ستانلى عندما علم أن الحاكم قد اعتنق الإسلام فسارع إلى إرسال خطاب إلى جريدة (الديلى تليجراف) ونُشر الخطاب فى ١٧/ ١٠/ ١٢٩٢هـ- الموافق ١٥/١١/١٨٧٥م،

وهو يعد نقطة تحوُّل فى تاريخ الإسلام الحديث فى شرق أفريقيا ووسطها.[١١]

وقد بدأ ستانلى الخطاب بذكر اعتناق الحاكم موتيسا الإسلام على يد تاجرسمَّاه خميس بن عبدالله ودعا إلى سرعة إرسال المنصرين والإرساليات وخاصة من بريطانيا. وركز على عدم تأثير الوعظ وحده فحسب على شعب أوغندا الذكى. كما ركز على أن الرجل المطلوب هو المعلم النصرانى الخبير المتمرس الذى يستطيع أن يعلم أفراد الشعب كيف يصبحون نصارى، فيعالج مرضاهم ويبنى لهم المساكن، ويعلم الاهلين الزراعة، ويوجه يده إلى أى شىء «كما يفعل الملاح». مثل هذا الرجل سيصبح منقذ أفريقيا من الإسلام.

وكان من تأثير هذا الخطاب أن جمعت التبرعات، ووصلت فى ذلك الوقت إلى ألفين وأربعمائة [٢٤٠٠] جنيه إسترلينى بعد أقلَّ من عام على نشر الخطاب فى الجريدة [الديلى تليجراف]. وقد وزَّع المبلغ على الجمعيات التنصيرية، ومنه أرسلت الإرساليات التنصيرية، كما كان من تأثيره قيام جمعيات تنصيرية مرَّ ذكر شىء منها، مثل الإرسالية الجامعية لوسط أفريقيا وإرسالية كنيسة اسكوتلندا الرسمية. «وتوافد المنصرون على أفريقيا عقب بعثة ليفنجستون وستانلى سنة ١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨م، فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين ألمانى واسكوتلندى وإنجليزى وموراڤى، وهؤلاء انتشرت إرسالياتهم دون انقطاع من شرق أفريقيا إلى أوسطها حتى الخرطوم والحبشة وبلاد الجلا. وجاءت هذه الإرساليات بنتائج حسنة.»[١٢]

والمستكشفون الجغرافيون يعدون نواةً أو مثالاً أو نموذجاً لاستغلال الأعمال العلمية فى تحقيق أهداف غير علمية.

٣- بعثات التطبيب التى يبدو من ظاهرها الإسهام فى مجالات الإغاثة الطبية والصحية، وتعمل على خدمة النصرانية والتنصير من خلال إنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات المتنقلة. وتعمد إلى تشغيل فتيات المجتمع ممرضات

ومشرفات اجتماعيات يتماشين مع سياسة هذه المؤسسات الطبية. وقد يكنَّ من بنات المجتمع المتنصرات. وأقرب مثال حيٌّ على هذا جهود المنصرة « تيريزا » التى تدعى بالأم والحائزة على جائزة نوبل، وما تقوم به فى مجال التطبيب من أنشطة على مستوى القارة الهندية بالتركيز، وعلي مستوى العالم الإسلامى بعامة، فقد تحركت فى الآونة الأخيرة إلى شمال العراق حيث محنة المسلمين الأكراد لاتزال قائمة وفيها من المجال الخصب لهذه الأعمال مالايخطر على قلب من لم يقف على المشكلة بنفسه.

وكذلك البعثات الطبية فى منطقة الخليج العربية التى قدمت إليها منذ سنة ١٣٠٨هـ-١٨٩١م على يد الدكتور شارون تومس ثم الدكتور آرثر بينيت بين سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م وسنة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.[١٣]

وتُستغَل البعثات الطبية التنصيرية فى إجراء التجارب حول مدى صلاحية الأدوية التى ترفض إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية (FDA) إجراءها على المجتمع الأمريكى، وكذا الأوروبى قبل أن تثبت فعاليتها فى الأرانب أو الفئران، فيؤتى بها إلى المناطق التى تتركز فيها مستشفيات ومستوصفات ومختبرات تنصيرية، فتجرى فيها التجارب على البشر ثم يكتب بها تقارير إلى إدارةالأغذية والأدوية الأمريكية لإقرار استخدامها لتركَّب وتصنَّع ثم تصرف للناس. ومع أن هذا ليس هدفاً لهذه المؤسسات الطبية، إلا أن المنصرين لا يمانعون من القيام به.[١٤].

٤- بعثات التعليم الصناعى والتدريب المهنى من خلال إنشاء المدارس ومراكز التدريب والورش للشباب والشابات تستقطب إليها الطاقات. وتخضع لبرامج نظرية فيها دروس حول الثقافة والمجتمع والدين والآداب المبسَّطة التى تنفذ من خلالها التعاليمالنصرانية.

ومن ذلك إسناد الإشراف على المراكز والمدارس المهنية المحلية إلى إدارات

أجنبية ويقوم على التدريب فيها منصِرون بلباس الفنيين والمدربين.

٥- بعثات التعليم العالى التى تنشىء الكليات والجامعات والمعاهد العليا فى المجتمع المسلم. وأقرب مثال على ذلك وجود الجامعات الأمريكية والفرنسية التى ثبت عملها فى مجالات التنصير ومجالات خدمة الوجهة الغربية كالعمل الاستخبارى لصالح الحكومات التى تدعم هذه المؤسسات التعليمية العليا. وتخرج الجامعات مجموعات كبيرة من أبناء المسلمين يكون لها زمام المبادرة فى شغل المناصب العليا ذات التأثير الإدارى والثقافى والأدبى والسياسى، بل والدينى أحياناً. وتُلمَّع هذه المجموعة المتخرِّجة من الجامعات الأجنبية وتُعطى الهالة الإعلامية وتساند بعضها فى المناسبات العلمية والثقافية والأدبية وغيرها. وهذه ظاهرة تستحق وحدها - فى نظرى - الدراسة. وفى هذا المجال يقول « بيزوز » الذى تسلم رئاسة الجامعة الأمريكية فى بيروت - وكانت تُسمَّى حينئذٍ بالكلية البروتستانتية الإنجيلية سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٨م: « لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلَّها المبشرون الأمريكيون فى سعيهم لتنصير سورية ولبنان، ومن أجل ذلك تقرَّر أن يُختار رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية من مبشرى الإرسالية السورية.»[١٥] .

ولا تخفى هذه الجامعات والمعاهد العليا نزعتها التنصيرية إلا فى الأوقات التى تجد فيها من المصلحة أن تسير مع تيار يسيطر على الساحة، كما سارت مع تيار القومية الذى شاع ردحاً من الزمن.[١٦] وكما يتوقع لها أن تسير مع تيار (الصحوة) لدراستها من منظور تنصيرى يعمد إلى تشويهها، وإلى تشويه أفكار من يدرسها أو يعمد إلى تبنى هذا التوجُّه.[١٧]

ومن إسهامات بعثات التعليم اشتراكها فى وضع المناهج التربوية لبعض المراحل العليا، بل ربما أسند إليها التخطيط الشامل للتعليم العالى على المدى البعيد. ويعين على هذه الوسيلة إضعاف المؤسسات العلمية والتعليمية الدينية فى

البلاد العربية والإسلامية، فقد تعرّض الأزهر جامعاً وجامعة إلى حملات متتابعة أدت إلى إضعافه والعمل على تحويله إلى مؤسسة تعليمية (مدنية)، وتتعرض المؤسسات التعليمية الدينية الأخرى فى مصر وفى غيرها لمثل هذه الحملات التى يراد للمؤسسات التعليمية الغربية أن تحلّ محلها مناهج وتخطيطاً وطريقة فى التربية والتعليم. وفى الفصل الرابع من كتاب (وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين) يصرّ المنصّر فلمنج على ضرورة «إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة»[١٨] كما يقول «جاردنر» السكرتير العام لجمعية الطلبة النصارى: «إن من سداد الرأى منع جامعة الأزهر من أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها فى جنوب أفريقيا اتباعاً لقرار مؤتمر التبشير العام، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل أفريقيا»[١٩] .

٦- بعثات الإغاثة حيث يهُبُّ الجميع رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً يجلبون معهم المؤن والملابس والخيام وغيرها، ويقدمونها على أنها نعمة من عيسى- عليه السلام- سواء كان هذا الإيحاء واضحاً بالرموز والشعارات، أو بطريق خفى يصلون إليه بحذر خوف الابتعاد عنهم. ومعلوم الآن أن ميزانيات المنصرين فى هذا المجال تخطّت المائة وثمانين مليار دولار سنوياً [١٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠]، ولو حصرت ميزانيات الهيئات الإغاثية الإسلامية العاملة فى الساحة لما وصلت - فيما يبدو لى- إلى مليار دولار [١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠] سنوياً.

٧- استغلال المرأة المسلمة وغير المسلمة. وللمرأة تأثيرها على الحياة كلها. ولها من القدرات ما يمكن استغلالها فى تحقيق أهداف المنصرين وغير المنصرين. فهى أم ولها أثرها على أبنائها، وهى زوجة ولها أثرها على زوجها، وهى ابنة معرضة للتأثر وهكذا.

أما فيما يتعلق بالمرأة المسلمة فهناك محاولات تنصيرية دءوبة لإخراجها من

سمتها وحشمتها بحجة التحضر والانطلاق، ثم إقحامها فى أنشطة اجتماعية وسياسية ليست بالضرورة بحاجة إليها. وإذا تذكرنا أن من أهداف التنصير بذر الشكوك لدى المسلمين المصرين على التمسك بالإسلام لأدركنا أن من أخصب المجالات فى تحقيق هذا الهدف الحديث عن موقف الإسلام من المرأة فيما يتعلق بحقوقها وواجباتها من موازين ومنطلقات غربية وغريبة على طبيعة الإنسان بعامة، والمرأة فيه بخاصة.[٢٠] ولذا نجد مجموعة من الجمعيات النسائية التى تعمل على نقل المرأة من بيئة إسلامية إلى بيئة غربية خالصة من خلال التبرج والسفور وخوض مجالات عملية فى الفن وفى الثقافة وفى الآداب وفى الأعمال المهنية والحرفية الأخرى، مما يدخل فى محاولات التغريب التى تتعرض لها المجتمعات المسلمة. وأقرب مثال على هذا جهود نوال السعداوى المستمرة فى تغريب المرأة المسلمة امتداداً للمحاولات السابقة على يد قاسم أمين[٢١] وغيره من دعاة التغريب.

والحديث عن المرأة دائماً فيه حساسية، ويغلب عليه الجانب الإعلامى وبخاصة الصحفى، وترفع فيه الشعارات، ويُساء الفهم حول بعض الطروحات كما قد يفهم من هذا الحديث أن المرأة لاتصلح للأعمال الفنية والثقافية والأدبية والأعمال المهنية والحرفية. وليس الأمر كذلك، إذ الموضوع يتركز حول استغلال هذه المجالات فى الخروج عن السمت المراد من المرأة كما هو مراد من الرجل على حدٍ سواء، وإن اختلفت الطرق. تقول المبشرات المشتركات فى مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م: « ... لا سبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح. إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون، فكل نشاط مجدٍ للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بُذل إلى الآن. نحن لا نقترح إيجاد منظمات جديدة، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائى على العمل واضعة نصب عينيها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم

المسلمات كلهن فى هذا الجيل»[٢٢] .

أما فيما يتعلق بالمرأة غير المسلمة فهى بحكم ثقافتها المنطلقة لديها القابلية لأن تُستغلَّ فى جميع المجالات. وإذا أغفلنا جانب التعميم استطعنا القول إن بعض النساء على استعداد لخوض غمار الأعمال الميدانية و(الترفيهية) مادامت تحقق بها أهدافاً تنصيرية، إما بالتغرير بأن هذا يرضى المسيح - عليه السلام -، وإما بالعلم والإصرار المسبق بأن هذا ما ينبغى أن يكون.

ولا تمثل الأعمال الترفيهية نسبة عالية فى انخراط المرأة فى حملات التنصير، لأن هذا أمر مكشوف ورخيص، ولكنه مع هذا يشيع فى الحروب بين الجنود والأسرى المراد تنصيرهم.[٢٣] والذى يمثل النسبة العالية هو عمل المرأة بكل جهد وقوة للدخول إلى مجالات النساء المستهدفات، فتجتمع بهن وتقدم لهن الخدمات الصحية والاجتماعية والتربوية والثقافية الدقيقة والخاصة بشئون المرأة فيما يتعلق بعلاقاتها الأسرية وحملها وتربيتها لأولادها. وهذا الاتجاه موضع قبول ورسوخ فى الأذهان. ولذا ينبغى إعطاؤه الاهتمام بدلاً من أن يذهب التصور إلى استغلال المرأة فى جوانب نفعية شهوانية قد لا تنقاد إليها جميع النساء كما هو سائر الآن. كما ينبغى تعميق النظرة إلى أثر المرأة فى هذه الحملات من خلال قدرتها على التأثير وقوتها فيه.

٨- استغلال العاملين النصارى فى المجتمعات المسلمة على مختلف مستوياتهم العملية وتخصصاتهم من الأطباء والخبراء والممرضات والصيادلة والعمال المهنيين والحرفيين. وتتضح هذه الوسيلة جيداً فى مجتمع الخليج العربى حيث تفد مئات الآلاف من الطاقات البشرية الخبيرة وغير الخبيرة. ويفد مع هؤلاء المنصرون بثياب الطبيب والممرضة والفنى والعامل. ويعملون على تثبيت إخوانهم النصارى وحمايتهم من الإسلام بإقامة الشعائر لهم سرّاً فى بعض المناطق وعلناً فى مناطق أخرى، كما يعملون على تنصير المسلمين من الشباب

والشابات ورجال الأعمال الذين يتسم بعضهم، أو جزء كبير منهم بالأمية الثقافية وعدم القدرة على إدراك خطر هؤلاء، كما يتسم بعضهم بعدم المبالاة مادام هؤلاء القادمون من الخارج يقدمون جوّاً ترفيهياً ينعكس إيجاباً على الإنتاج والعمل!!

وكانت هذه الوسيلة من الموضوعات التى ركّز عليها مؤتمر المنصرين (السادس) الذى عقد فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٤٠٠هـ الموافق سنة ١٩٨٠م، حيث أكد أحد رؤساء الجمعيات التنصيرية على ذلك بقوله: «إن الباب أصبح مفتوحاً لدخول النصرانية إلى البلاد المغلقة، وذلك من خلال الشركات الوطنية المتعددة، فهناك فرص لا حدود لها فى هذا المجال بالنسبة للمنصرين حيث الحاجة الملحة إلى مهماتهم لتطوير البلاد.»[٢٤] .

وبالمتابعة من قبل المعنيين بالأمر يعثر على أماكن للعبادة تُهيّأ للنصارى سرّاً فى بعض أجزاء من منطقة الخليج العربية، وعلناً فى أجزاء أخرى من المنطقة، ويعمل المخلصون على تبليغ السلطات المعنية لتتخذ الإجراءات الضرورية التى تتفق مع عقود العمل التى يوقع عليها هؤلاء. والمسألة هذه مستمرة، إذ تعوَّد المنصرون فى هذه المناطق عدم الاستسلام للجهات المتابعة أو للعقبات التى تعترض طريقهم، بل هى تُعدُّ مؤشّراً على أن هناك عملاً قائماً منهم يستحق المقاومة.[٢٥] .

٩- إستغلال البعثات الدراسية للطلبة المسلمين خارج البلاد الإسلامية. وقد اقتضت الرغبة فى مواكبة السير الحضارى وجود مجموعات من أبناء المسلمين فى أوربا وأمريكا لتلقّى التعليم والخبرات مبعوثين من حكوماتهم ومؤسساتهم داخل بلادهم. وتتعرض هذه الفئة من الطلبة إلى حملات قوية من المنصرين عن طريق مكاتب الطلبة الأجانب فى الجامعات. حتى الجامعات المستقلة (غير المنتمية) فى الغرب تقوم بهذه الأنشطة. وتضع برامج للطلبة من زيارات

للعائلات ونشاطات اجتماعية من حفلات ودعوات إلى الكنيسة أو ما يلحق بالكنيسة.[٢٦] .

وفى خارج المدن الجامعية يتلقّف المنصرون الطلبة المسلمين بعد التعرف على عناويتهم والوصول إليهم وإبداء الرغبة فى خدمتهم والوقوف إلى جانبهم والتعاطف معهم. وكنا مجموعة من الطلبة نتعرض لألوان من المحاولات مثل إرسال المطبوعات والاتصال بالهاتف والاتصال الشخصى المباشر بموعد وبدون موعد. وتُستغل المناسبات الدينية والوطنية فى محاولة الوصول إلينا. وهناك قصص حصلت وذكرت فى مجالات صحفية تبرز ألواناً من المحاولات وصلت فى نهايتها إلى الحوار المباشر بعدما تمكن الطالب - نسبياً - من اللغة ومن القدرة على النقاش. وكانت حوارات مفيدة، إذ أسهمت فى إيضاح المبهمات لدى أولئك المنصرين.

ويُستغل ضعف بعض الطلبة المسلمين مادياً لتتبنى الكنيسة أو جمعية مدعومة من الكنيسة دعم هؤلاء الضعفاء من الطلبة وتعمل على إيجاد فجوة بين الطلبة المسلمين الموسرين منهم والمعسرين تصل إلى حد الضغينة والحسد وترسيخ هذه المفهومات فى الأذهان حتى لا تقوم بين المسلمين من الطلبة رابطة قوية.[٢٧] .

كما يستغل ضيق بعض الطلبة المسلمين لعدم قدرتهم على العودة المباشرة إلى بلادهم بسبب سوء الأحوال السياسية والاقتصادية والبحث عن إقامة نظامية فى البلاد الغربية التى تتم غالباً عن طريق الزواج بمواطنة من البلد، إما أن تكون ذات ميول نصرانية قوية، أو ينشأ عندها الميول عندما تدرك أنها اقترنت برجل يختلف عنها ديناً وثقافة. وتكون نتيجة هذا الزواج إنجاب الأطفال، ثم يحصل عادة فراق، فتكون رعاية الأطفال، نظاما، لأمهم فتأخذهم إلى الكنيسة اقتناعاً أو قصداً إلى كيد الأب . ويستمر الصراع على هذه الحال. وهذا على أفضل

الأحوال. وربما يرضى الزوج بأخذ أولاده إلى الكنيسة، بل وذهابه هو معهم والانخراط فى أنشطتها ولو لم يتم الإعلان الرسمى (التعميد) عن التنصر. وفى أحوال أخرى تسلم الزوجة وتستقيم الأمور عدا المضايقات من الأهل والأقارب من جانب الزوجة على الغالب.

١٠- استغلال المؤسسات العلمية التى تقدم دراسات عن العالم الإسلامى والعرب والشرق الأوسط . وهذه الظاهرة نشأت على أيدى كهنة وخدم للكنيسة، وأخذت مصطلح (الاستشراق). الذى يتولّى الجانب العلمى فى نزع سلطان الدين الإسلامى من النفوس. وطلائع المستشرقين انطلقوا من الكنائس والأديرة.[٢٨] وإسهاماتهم موجهة إلى المفكرين والمطلعين والمثقفين. وهم لايدعون صراحة إلى النصرانية، بل إنهم يتهربون من إلصاق النصرانية بهم، ولكنهم يحققون أهداف المنصرين فى حملاتهم ضد الإسلام التى كانت أكثر صراحة مما هى عليه الآن، وفى منهجهم المتأخر القائم على التخصص ونبذ العموميات التى بدأها أسلافهم التى كانوا فيها صريحين فى محاربة الإسلام ونبى الإسلام - عليه السلام .

وليس كل المستشرقين المتأخرين على هذه الشاكلة، ولكن لا تزال طائفة منهم تسير على المنهج الذى رسمه لهم أسلافهم مما يخدم المعتقد النصرانى من خلال دراساتهم للإسلام والعلوم والثقافة الإسلامية وتراث المسلمين.[٢٩]

وبقدر ما يخدم المستشرقون انتماءاتهم الدينية والثقافية ينالون الدعم المعنوى والمادى. وإذا ما مال أحدهم إلى الإنصاف وجد عنتاً وتنكُّراً من الجمعيات والمؤسسات المهتمة بالإسلام فى المجتمع الغربى.

١١- عمل اليهود على مؤازرة التنصير عندما تحولت النصرانية على يد شاؤول أو بولس إلى خليط من الثقافات السابقة عليها بما فيها اليهودية المحرّفة، فكان هذا التآزر بين اليهودية والنصرانية فى المجتمعات المسلمة وغير المسلمة يبرز بوضوح

عندما تحتدم المشكلات المحلية أو الإقليمية ويكون لإحدى النحلتين ضلع فيها كما برز فى الحرب الأهلية اللبنانية وكما يبرز فى حرب السودان ضد المتمردين النصارى فى الجنوب.[٣٠]

وتعمل المؤسسات اليهودية داخل فلسطين المحتلة وخارجها على تعضيد التنصير وتحقيق بعض أهدافه التى تتفق مع المنطلقات والمصالح اليهودية الراسخة فى العقيدة من أن الآخرين خدم لليهود وعالة عليهم كما هو مصرح به فى (بروتوكولات حكماء صهيون).[٣١]

وقد ظهر فى صفوف المنصرين يهود منصرون، وعمل بعضهم فى المنطقة العربية. ويذكر أن السموءل (صاموئيل) زويمر وعائلته كانوا يهوداً وأن زويمر نفسه مات على اليهودية.[٣٢] وهو يعد من أبرز المنصرين فى المنطقة العربية، ويكثر ذكر اسمه عند أى حديث عن التنصير فى المجتمع العربى. وقد آزره فى هذا فريق من المنصرين فيهم أخوه بيتر وزوجته ى. لو زويمر.[٣٣]

ويخفى اليهود انتماءاتهم اليهودية وينخرطون فى أعمال دينية قد تصل أحياناً إلى التظاهر بالإسلام قصداً إلى الإسهام فى مصادرته، والتظاهر بالنصرانية من باب أولى نظراً لما للنصارى من قبول فى المجتمع المسلم أكثر من قبوله لليهود. وهذا يحقق لليهود أهدافاً أبرزها رسوخ اليهود فى فلسطين المحتلة مدة أطول مما لو جابههم المسلمون بإسلامهم.

١٢- الأصل فى المنظمات الدولية على اختلاف اهتمامتها وتخصصاتها أن تلزم الحياد فيما يتعلق بالأديان والثقافات، وأن تؤدى مهماتها المناطة بها دون النظر إلى استغلال نفوذها سياسياً واقتصادياً لتحقيق أغراض سياسية وثقافية لأعضاء فى هذه المنظمات على حساب الأعضاء الآخرين.

وواقع الحال أن الأحداث تُثبت بجلاء أكثر مع الأيام أن المنظمات الدولية على اختلاف مهمّاتها تخدم النظرة الغربية للعالم الآخر. وأنها تسير حسب

التوجيهات الغربية فى التعامل مع الآخرين.[٣٤] وقد يكون من الأسباب الظاهرة أن الدول الغربية بعامة، والولايات المتحدة الأمريكية بخاصة، هى التى تدعم هذه المنظمات مالياً وتتحمل جزءاً كبيراً من ميزانياتها وتتبنى مشروعاتها، ولذا فإن الدول التى تدعم أكثر تنال تأثيراً أكبر. ومع هذا فإنه هذا لايعنى بحال أن تُدعم الأمم غير المسلمة على حساب المسلمين فى مجتمعات المسلمين على المستوى الإغاثى والعلمى والثقافى والصحى والطبى والسياسى والاقتصادى كذلك. وقد تناقلت الأخبار وجود أسلحة داخل أكياس القمح المرسلة من منظمة دولية إلى جنوب السودان، حيث يوجد المتمردون بقيادة جون جرنج ورفاقه ومن انشقّ عنه أخيراً. وكذا الحال فى المجتمعات المسلمة الأخرى.

وإذا لم تكن الصورة بهذا الوضوح فإن التوجُّه لهذه المنظمات يُرسِّخ الفكرة الغربية فى كل الأنشطة. ومن ذلك أنشطة المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة رعاية الطفولة، وغيرها من المنظمات التى تسعى إلى ترسيخ الفكرة الغربية على جميع الأنشطة، أو لنَقُلْ تنظر إلى جميع المجتمعات بنظرة غربية لا تتفق بالضرورة مع هذه المجتمعات التى تخدمها المنظمات الدولية. ولعله من باب لكل شيء ثمن.

ولا يغيب عن البال ممارسات المنظمات الدولية السياسية وغيرها تجاه المسلمين فى البوسنة والهرسك، والتردد الواضح فى اتخاذ قرارات حاسمة لنصرة المظلوم على غرار ما حدث فى منطقة الخليج العربية فى الآونة الأخيرة عندما غزت العراق جارتها الكويت فى ١٤١١/١/١١هـ الموافق ١٩٩٠/٨/٢م.

١٣- التبادل الثقافى يعدُّ أحد الوسائل المهمة والمختفية للتنصير. وتقوم معاهدات واتفاقيات ثقافية بين بلاد المسلمين والبلاد الأجنبية يكون نصيب المسلمين منها غالباً عرض الفلولكلور الشعبى من رقص وغناء وأكلات شعبية وصناعات يدوية ونحوها، وقد يسمح بتوزيع كتيبات ونشرات عن البلاد العارضة

ونهضتها المادية. ويكون نصيب البلاد الأجنبية إقامة المراكز الثقافية الدائمة واستقطاب رجال الفكر والثقافة من أبناء البلاد وجلب المحاضرين من مفكرين وأساتذة جامعات ورجال سياسة وقانون. وتعمل هذه المراكز على إيجاد قوائم للمراسلة، وتتابع ذوى التأثير على المجتمع وتزودهم بالمطبوعات والنشرات والأشرطة المسموعة والمرئية المسموعة، وتدعوهم للمناسبات الاجتماعية والوطنية وبعضهم للدينية النصرانية التى تمر على بلادهم. وكل هذه وسائل تتغير وتتبدل وتطوّع بحسب ما يقتضيه المقام ويتناسب مع الأشخاص المستهدفين.

ولعل الأنشطة الفنية والرياضية تدخل فى المفهوم العام للتبادل الثقافى، وهناك خطوات عملية فنية ورياضية واضحة فيها رائحة التنصير. وتستغل هذه المعاهدات الثقافية للوصول إلى أوساط الشباب من خلال الأنشطة الرياضية الدولية والإقليمية والمحلية توزع فيها النشرات والأشرطة والكتاب المقدس. وتحشد الميزانيات الهائلة لهذه الوسيلة. ويظهر هذا بجلاء فى مباريات كأس العالم حيث يحضرها مئات الآلاف ويشاهدها مئات الملايين.

١٤ -للتجار ورجال الأعمال جهود واضحة فى نقل الأفكار. ونحن نعلم أن الإسلام قد انتشر فى آسيا وأفريقيا عن طريق التجارة بالدرجة الأولي. والتجار ورجال الأعمال الغربيون يحملون معهم أفكارهم إلى بلاد المسلمين، ويعملون على خدمة الكنيسة فى مجالهم دون وضوح بارز. وهذا ما فعله الفرنسيون في لبنان وسوريا والمغرب العربى وجنوب الصحراء الكبرى فى البلاد التى احتلوها. يقول أنيس صايغ فى كتابه (لبنان الطائفى) : « كانت فرنسا تعتبر نفسها حامية المسيحيين فى الشرق، وخاصة الموارنة فى لبنان، ودعمت فرنسا هذه السياسة المستترة بثوب دينى يتعهد العلاقات التجارية والإرساليات التبشيرية بين لبنان وفرنسا. فقد ضاعفت فرنسا عنايتها بأمور التجارة وأرسلت القناصل وأسست المكاتب والمراكز الثابتة لتسهيل أمورها»[٣٥]

ولا تزال هذه الوسيلة سارية المفعول، وبخاصة مع إصرار معظم الدول الإسلامية على الانخراط فى ركب الحضارة المادية الحديثة فى الوقت الذى لاتزال تعانى فيه من نقص فى الخبرات البشرية المحلية والإمكانات المادية فتضطر إلى الاقتراض وجلب الشركات الأجنبية بعمالها وإدارتها الأجنبية. وربما استخدمت بعض العاملين المحليين وأملت عليهم أنماطها الإدارية ودخلت من خلالها إلى ما تريد.[٣٦]

١٥- وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتليفزيون وسينما ومسرح كلها تسهم فى حملات التنصير من الوسائل المختفية. أما الوسائل الإعلامية الصريحة فهذه موجودة وكثيرة وتوجه إلى عدة لغات، وتغطى عدداً كبيراً من ساعات البث.[٣٧] .

أما الوسائل الإعلامية غير الصريحة فتأتى ضمن المسلسلات والأفلام والبرامج الوثائقية والتعليمية التى تطبع دائماً بنمط العيش الغربى بما فيه من ثقافة وممارسات دينية لا تخلو منها المصطلحات والأمثال والسلوكيات. حتى أفلام الصور المتحركة (الكرتون) الموجهة للأطفال تصبغ بهذه الصبغة التى تشعر المتابع أحياناً أنها مقصودة متعمدة. وتعمد إلى تزليف المشاهدين والمستمعين والقرّاء على الثقافة الغربية التى لم تستطع التخلص من التأثير الدينى عليها فى معظم سلوكياتها ومُثلها ومبادئها. بل ربما لا تريد التخلص من هذا التأثير الدينى، بل تسعى إلى تعميقه وترسيخه مادام سيحقق تبعية ثقافية تقود إلى تبعيات أخرى.

ويقول فريد د. أُكوورد فى بحث له عن الإرسال الإذاعى الحالى الموجَّه للمسلمين: « إن اللغة الإنجليزية مهمة لكل عربى يرغب فى متابعة تعليمه أو يودُّ الهجرة، ولقد كتبنا إلى هيئة الإذاعة البريطانية التى لديها سلسلة ممتازة من برامج تعليم اللغة الإنجليزية للناطقين بالعربية. ولقد منحتنا السلسلة وأذنت لنا بتقديمها عبر إذاعتنا، وقد أجرينا بالفعل تعديلات على السلسلة استخدمناها

(كطعم)، وفى الختام كنا نتوجه بالسؤال عما إذا كان المستمع يرغب فى نسخة مجانية من كتاب يحتوى على العربية والإنجليزية جنباً إلى جنب وعندئذ نرسل له نسخة من الإنجيل بالعربية والإنجليزية.[٣٨]

وتعد القاهرة وبيروت من أكبر المدن فى المحيط الإسلامى فى الإسهام فى هذه الوسيلة الإعلامية من خلال استغلال الصحف المأجورة فى أكثر الأحيان، وغير المأجورة فى أحوال نادرة. هذا عدا الصحف ووسائل الإعلام الأخرى والإذاعات الصريحة التى تنشر التنصير.[٣٩] .

والإعلام يعد من الوسائل الحديثة (غير التقليدية) وبخاصة فى مجالات استغلال تقنية الاتصال وتقنية المعلومات، بحيث يمكن من خلال استغلال البث المباشر بث المواعظ والخطب والبرامج التنصيرية الموجَّهة، التى يمكن تقنياً مشاهدتها فى جميع المجتمعات التى وصلت إلى مستوى تقنى متقدِّم. ولا يقتصر الأمر على هذه المجتمعات، بل تنقل التقنية إلى المجتمعات الأقل تقدُّماً من خلال إحداث محطات محلية صغيرة تنصيرية تبث هذه الأنشطة الإعلامية. وكذا الحال مع الأجهزة الشخصية العارضة للأفلام والبرامج الجاهزة كأجهزة (الفيديو) وغيرها من الوسائل الناقلة للمعلومات.

١٦- المنح الدراسية وسيلة من وسائل التنصير المختفى، ذلك أن بعض المنظمات التنصيرية تختار من النجباء ومن يتبين عليهم قسط عالٍ من الذكاء وتسهل لهم مواصلة دراساتهم الجامعية والعليا فى أوروبا وأمريكا الشمالية، وترعاهم بالمنح المباشرة، أو بإعطائهم الإعانات المقطوعة، أو الإسهام فى بعثهم إلى الجامعات والمعاهد العليا.

ومن هذا المنطلق تقوم محاولات للتقليل من المنح الدراسية للجامعات العربية والإسلامية، وبخاصة فى البلاد العربية الغنية بمؤسساتها العلمية والتعليمية ومواردها الطبيعية. كما تقوم المحاولات للحد من انتشار تأثير هذه المؤسسات

التعليمية من خلال التضييق على المتخرجين منها عندما يعودون إلى بلادهم فلا يجدون عملاً يرتزقون بواسطته. ومن جهة أخرى يجد العائدون من البعثات الخارجية المجال أمامهم مفتوحاً كما هو مضمون حديث «جاردنر» السابق ذكره.[٤٠] .

١٧- ومن الوسائل الحديثة إسهام الجمعيات التنصيرية فى مجالات التنمية تحت شعار من الكنيسة إلى المجتمعات . وقد أنشئت لهذا الصدد لجان مثل (هيئة مجلس الكنائس للإسهام فى أعمال التنمية) « وتعمل هذه الهيئة فى حقول التنمية المتنوعة المختلفة، مثل إقامة القرى الزراعية وعقد الدورات التدريبية المهنية لمختلف التخصصات التقنية والفنية، وتقديم القروض المباشرة إلى الفلاحين عن طريق مؤسسات (وحدات الإقراض) ومشروعات التهجير الداخلى للسكان وغير ذلك.»[٤١]

وتسهم هذه الهيئات إسهاماً مباشراً فى هذه المجالات، ومن خلال هذا الإسهام تسعى الجمعيات إلى تحقيق بعض الأهداف. ولو لم يكن إلا الإسهام هدفاً لكان كافياً فى إشعار المجتمعات أن المنصرين إنما يسعون إلى رخاء المجتمعات وإخراجها من أسْر التخلف والجهل وقلة الإمكانات. هذا عدا ما يصحب فترة الإسهام من اتخاذ وسائل أخرى تكون مقاومتها غير ميسورة إذا ما أُشعر الأهالى أو الحكومات أن التصدى لها فيه مدعاة إلى التخلى عن الإسهام فى مجالات التنمية بمشروعاتها المختلفة. وقد تعرَّضت السودان إلى ضغوط رسمية دولية عندما سعت إلى إخراج بعض المؤسسات التنصيرية من السودان. وكانت الضغوط صريحة بقطع الإعانات والقروض إذا ما تمَّ الإبعاد

١٨- السعى دائماً إلى تقويم الأساليب والاستمرار فى المؤثر منها، وطرح تلك التى عفا عليها الزمن. وكان هذا من أهم الأهداف التى جاء بها مؤتمر «كلورادو» بالولايات المتحدة الأمريكية الذى عقد سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م،

حيث سعى إلى تطوير أساليب تنصيرية تتماشى مع معطيات العصر الحديث وتطوراته.[٤٢] فاقترح المؤتمرون فى هذا المؤتمر أساليب ووسائل ليست كلها جديدة بحتة، ولكنها تطوير لأساليب ووسائل تقليدية ألبست لباس العلمية والدراسة والتخطيط المسبق، كأسلوب الفلاح واختيار التربة والتأثير النفسى وإيقاظ اللغات واللهجات المحلية بترجمة الإنجيل إليها، والمطبوعات والبث الإذاعى والإعلامى بعامة، والحلقات الدراسية بالمراسلة، والاهتمام بمشكلات الشعوب الإسلامية، والحوار الإسلامى النصرانى.[٤٣] على الطريقة النصرانية التى ترفض التخلى عن مسلمات تريد فرضها فى الحوار وعلي المحاورين من المسلمين. والحوار سلاح ذو حدين، فكما يعدونه وسيلة للتنصير نعده نحن وسيلة للمواجهة وللدعوة بحسب النظرة إلى الحوار وأصوله وطرقه ومنطلقه.

* * *

هوامش الوسائل المباشرة :

١- الاقتضاب فى البلاغة العربية هو الانتقال مما هو ملائم إلى ماهو غير ملائم.

٢- هذا البيت من البحر البسيط، وقائله هو أبو نواس من مجموعة أبيات ليس هذا مكان ذكرها، إذ هى لا تليق. ولا توجد هذه المجموعة من الأبيات فى الديوان المطبوع لأبى نواس.

٣- مسألة خطف الأطفال شاعت أثناء محنة المسلمين فى الأندلس، وهى شائعة الآن مع المحن التى يمر بها العالم بعامة، والمسلمون بخاصة. وبدت واضحة مع الأحداث التى حلت باللبنانيين والأفغان والبوسنويين والهرسك والصومالين، وغيرها من المواقع التى لا تبدو عليها بالضرورة المحن والكوارث. ومن أنجح ما تقوم به الإرساليات التنصيرية الآن هو تبنى الأطفال، وتسفيرهم من بلادهم، وتعليمهم مبادىء النصرانية وتنشئتهم عليها أو الإبقاء عليهم فى بلادهم الفقيرة والدخول إلى قلوبهم من خلال ما يصلح لهم ويتناسب مع عقلياتهم كالحلوى والغذاء والكساء، كما كانت تعمل ذات الرداء الرمادى فى مصر العربية، حيث عرف عنها أنها تأتى من شمال القاهرة إلى مصر الجديدة فى جنوبها؛ حيث يترقبها جامعو الزبالة من الأطفال فتوزع عليهم الكساء والأغذية. انظر: عبد الجليل شلبى. معركة التبشير والإسلام: حركات التبشير والإسلام فى آسيا وأفريقيا وأوربا- القاهرة: مؤسسة الخليج العربى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م- ص٣٠٥. ويذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين فى افتتاح مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية فى الرياض أن المنصرين يقدمون الحلوى الطيبة النظيفة المغلفة للأطفال ويقولون هذه حلوى عيسى -عليه السلام-، ويقدمون الحلوى المنتنة المكشوفة القذرة، ويقولون هذه حلوى محمد -صلى الله عليه وسلم-،

فيقر فى ذهن الطفل ما يقرُّ من مؤدّى هذه الوسيلة المخادعة.

٤- عندما كنت أدرس فى الولايات المتحدة الأمريكية استأجرت سكناً، وكان القائم على المجمع السكنى منصِّراً، وعندما علم أنى أتحدث العربية أحضر لى الإنجيل باللغة العربية فى وقت قياسى، وكنت فى مدينة صغيرة لا توجد بها مكتبة عربية أو جالية عربية.

٥- ينقل عن اديسون قوله: « إن عوامل التعليم المسيحى في مصر تزيد قوة على قوتها بمؤسستى جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات ... إن لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة، وخصوصاً فى القاهرة والإسكندرية. هذه الفروع تقدم مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية. وتهيىء فى المجتمع ألواناً من النشاط تندر فى الشرق ... وفى هذا اقتراب من المسلمين (بالتبشير)». انظر: مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التى ترمى إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربى-بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٣م- ص ٢٠١.

٦- أنظر : ENCYCLOPEDIA OF MISSIONS.- LONDAON 1906

٧- انظر: أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص٢٠-٢١.

٨- انظر: إبراهيم الزين صغيرون. «لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام فى أوغندا»- مجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)- ع ٦ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)- ص ١٧-٢٩.

٩- ديفيد، أو داود، لفينجستون (١٨١٣-١٨٧٣م) اسكوتلندى وطبيب ومنصر، ومكتشف. أبدى رغبته فى التنصير لجمعية التنصير اللندنية سنة ١٨٣٨م. وخاض تجربة التنصير فى سنة ١٨٤٠م. وقد ساعدته فى ذلك زوجه مارى موفَّات. والتقي بهنرى مورتون ستانلى وتعاونا على الاستكشاف والتنصير.

ويعد من طلائع المستكشفين وأسهم فى إثارة موضوع خطف الأطفال الأفارقة وبيعهم عبيداً. أنظر: FUNK AND WAGNALLS NEW ENCYCLOPE DIA ibid.- 15/ 246- 247

١٠- هنرى مورتون ستانلى (١٨٤١-١٩٠٤م) مستكشف بريطانى أمريكى، وعمل صحفياً لجمع من الصحف الأمريكية. سعي فى البحث عن ليفينجستون الذى اختفى فى أفريقيا الوسطي، ثم خلفه فى مهمة الاستكشاف. وكتب عن أفريقيا أعمالاً منها: (عبر القارة المظلمة) THROUGH THE DARK CONTENET وكتاب (أفريقيا المظلمة) أو الأكثر ظلاماً THE DARKEST AFRICA أنظر FUNK AND WAGNALLS NEW ENCYCLOPEDIA ibid. 22/ 186- 187.

١١- أنظر: إبراهيم الزين صغيرون. «لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام فى أوغندا»- مرجع سابق. ص ١٧-٢٩.

١٢- أنظر: أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص١٦.

١٣- أنظر: عبد المالك التميمى. التبشير فى منطقة الخليج العربى: دراسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى- مرجع سابق - ص ١٢٣-١٣٢. وأنظر أيضاً: هـ. كونوى زيقلر. أصول التنصير فى الخليج العربى: دراسة ميدانية وثائقية- ترجمة مازن صلاح مطبقانى- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م- ص ٣١-٤٨.

١٤- أفادنى بهذا أحد مديرى مستشفيات القطاع الخاص الكبيرة فى حديث معه عن استغلال التطبيب للتنصير.

١٥- عبد الودود شلبى. الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير فى العالم الإسلامى-مرجع سابق- ص ٨٣.

١٦- مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية- مرجع سابق- ص ١٠٦.

١٧- شاعت الآن الدراسات عن الصحوة الإسلامية التى يسميها الآخرون الأصولية الإسلامية. وتتم الدراسات داخل البلاد الإسلامية وخارجها. ولعل من أبرز هذه الدراسات فيما يتعلق بالمحيط العربى التقرير الذى قدمه ريتشارد ديكميجيان، وهو أرمنى من حلب ويحمل الجنسية الأمريكية، ويعمل أستاذاً فى إحدى الجامعات الأمريكية، إلى المخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، ثم توسع فيه وأصدره فى كتاب ترجم إلى العربية تحت عنوان: (الأصولية فى العالم العربى). انظر: ريتشارد هرير ديكميجيان. الأصولية فى العالم العربى- ط٢- ترجمة عبد الوارث سعيد- المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م- ص٣٠٨.

١٨- أنظر أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص٢٤.

١٩- أنظر أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص١٠٥.

٢٠- فى أفعال المنصرين مع المرأة يستأنس بما كتبه مصطفى فوزى غزال. الحيل والأساليب فى الدعوة إلى التبشير- د.م.: د.ن، د.ت- ص ١٣-١٨ و٣٣-٣٧ و٤٣-٥٨.

٢١- قاسم أمين (١٨٦٥-١٩٠٨م). يرجع إلى أصل كردى. تعلم فى الأزهر والقانون فى فرنسا، وعمل قاضياً. شهر عنه تبنيه الدعوة إلى تحرير المرأة وسفورها وتعليمها ومشاركتها الرجل فى الحياة العامة. ومن آثاره كتابيه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة). ويذكر أنه كان وثيق الصلة بمحمد عبده وسعد زغلول. انظر: الموسوعة العربية الميسرة- إشراف محمد شفيق غربال- القاهرة: دار الشعب ومؤسسة فرانكلين، د. ت- ص ١٣٦١.

٢٢- انظر: مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية- مرجع سابق- ص ٢٠٤.

٢٣- انظر: عصام عبده. ولا يزال التنصير مستمراً. المجاهد مج ٤، ع ٤٣ (ذو الحجة/ ١٤١٢هـ)- ص ١٢-١٧.

٢٤- إبراهيم عكاشة على. ملامح من التنصير فى الوطن العربى- مرجع سابق- ص ٣٢-٣٣.

٢٥- والمتابعة تتعلق بإعلان الشعائر النصرانية بإيجاد رموزها علناً فى بلاد لايلتقى فيها دينان وهى جزيرة العرب بنص حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-: لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب. عن ابن شهاب فيما رواه مالك بن أنس فى الموطأ. انظر: موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثى -إعداد أحمد راتب عرموش -ط ٧- الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م. ص ٦٤٤- رقم الحديث ١٦٠٩.

٢٦- فى المناسبات الدينية والوطنية التى تحصل بها غالباً إجازات طويلة تنظم للطلبة الأجانب من غير النصارى خاصة لقاءات مع العائلات النصرانية المتدينة. وفى إجازة عيد الشكر THANKS GIVINGS فى إحدى السنين انطلق مجموعة من الشباب المسلم إلى الريف الأمريكى حيث العائلات المتدينة، وكانت بينهم حوارات ونقاشات كانت فى أغلبها فى مصلحة الشباب، لأنهم أدركوا أهداف هذه الأنشطة، واقتنعوا بالمحاولات التى تستهدفهم. ثم إنهم فى معظمهم قدموا صورة جيدة وعملية للإسلام.

٢٧- وقد اتصل بى أحد الشباب المسلمين فى ألمانيا (الغربية)، وكنت أعمل هناك، وعرض علىَّ مشكلته المتمثلة فى ضائقته المالية وأن الكنيسة قد عرضت عليه الإعانة. ولم أملك إلا محاولة إثنائه عن الاستسلام للكنيسة، ولكن دون أن أقدم له البديل الذى يغنيه عن طرق أبواب الكنيسة، ويحفظ عليه فطرته ودينه.

٢٨- انظر: طلائع المستشرقين فى: نجيب العقيقى. المستشرقون- مرجع سابق- ١/ ١١٠-١٢٥.

٢٩- انظر: على بن إبراهيم النملة. الاستشراق فى خدمة التنصير واليهودية- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ع ٣ (٧/ ١٤١٠هـ - ٢/ ١٩٩٠م)- ص ٢٣٧-٢٧٣.

٣٠- انظر: «المستعمر البريطانى يغلق جنوب السودان ليصبح مرتعاً للمنصرين» فى: مصطفى فوزى غزال. الحيل والأساليب فى الدعوة إلى التبشير- مرجع سابق- ص ٧-١١.

٣١- يقول عجّاج نويهض مشيراً إلى أساليب اليهود فى ترسيخ وجودهم وتأثيرهم: «حتى إذ انطلقوا بعد الثورة الفرنسية يضعون مخططاً قائماً على أساسين، كان هذان الأساسان وهما:

١ - عقيدة أنهم شعب الله المختار.

٢ - عقيدة أن هذا الشعب المختار يستطيع أن يفسد العالم ويعطله ويخرّبه ليقيم على أنقاضه ملكاً يهودياً داودياً، يتفرد بحكم العالم بأسره، وما الأمم والشعوب إلا حيوانات متخلفة العقل والذهن والفهم... أما عقيدتهم أنهم شعب مختار فالإشارة إليها وإلى الماسونية شيء كثير فى البروتوكولات. وأما قدرتهم على أن يصلوا إلى نهاية مبتغاهم، فنحسب أن القطار قد فاتهم؛ ولكن قد يطول بالعالمين الأمريكى والبريطانى الأمد وهو مخدر تخديراً يهودياً، وأهم عوامل هذا التخدير ليس الذهب والمرأة والجاسوسية، بل التنصر ظاهرياً والبقاء على اليهودية باطناً. وقد أكثر اليهود من استعمال هذه الخدعة بعد طردهم من البرتغال وإسبانيا وقيام مجلس التفتيش عليهم بالعذاب المعلوم. وهكذا كان إسلام اليهود الذين جاؤوا المملكة العثمانية بعد القرن الخامس عشر فأسلموا وسمُّوا بالدونمة أى المهتدين». أنظر: عجَّاج نويهض. بروتوكولات حكماء صهيون: نصوصها،

رموزها، أصولها التلمودية- ط٣-بيروت: دار الاستقلال،١٩٩٠م- ص٢٩٦-٢٩٧.

٣٢- يقول عبد الله التلّ: «وأعجب العجب أن يعلم القارىء بأن صموئيل زويمر هذا، الذى كان يرأس مؤتمرات التبشير من أدنبرة فى أقصي الغرب إلى لكنو فى أقصى الشرق، والذى قاد معارك التبشير طوال ستين عاماً انتهت بهلاكه سنة ١٩٥٢، قد كشف عن يهوديته الدفينة الراسخة فى أعماق نفسه، وذلك بأن طلب حاخاماً يلقنه في ساعاته الأخيرة أثناء احتضاره. وقد أخبرنى راهب من أصدقائى أيام معركة القدس، أن الكنيسة تحتفظ بهذا السر المذهل، ولا تبوح به، حتى لا تنكشف حيل اليهود الذين يتظاهرون باعتناق النصرانية، وحتى لا يظهر إخفاق جمعيات التبشير التى تبذل الملايين عبثاً، وتنخدع بمكر اليهود وخططهم الخبيثة لبث الفتن والبغضاء بين الإسلام والمسيحية». انظر: عبد الله التل. جذور البلاء-ط٢- بيروت: المكتب الإسلامى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م- ص ٢٢٨.

٣٣- انظر: عبد المالك التميمى. التبشير فى منطقة الخليج العربى- مرجع سابق- ص ١١٣ و١١٨.

٣٤- أنظر على سبيل المثال: «منظمة الصحة العالمية مؤسسة تبشيرية.» فى: مصطفى فوزى غزال. الحيل والأساليب فى الدعوة إلى التبشير- مرجع سابق- ص ٦٩- ٧٥.

٣٥- أنيس صايغ. لبنان الطائفى- بيروت: دار الصراع الفكرى، ١٩٥٥م- ص ١٠٦، نقله: مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية- مرجع سابق- ص ١٥٣-١٥٤. وقد أراد المولف من كتابه هذا الرد على مؤلفى التبشير والاستعمار، ولكنه جاء سنداً له وشهادة مزكاة فيه. كما يقول المؤلفان، ص ١١.

٣٦- وليس جديداً على الساحة التجارية أن يأتى بعض الذين يخدمون أغراضاً

دينية أو سياسية بثياب التاجر. وهذه الوسيلة تثبت مع الوقت جدواها، وكذلك بعدها عن الاكتشاف، إذ يشيع بين الناس أن العلاقات فى هذا المجال مع الآخرين تجارية لا تتعدَّى التبادل التجارى والمصالح التجارية. وأظن فى هذا التفكير شيئاً غير يسير من السذاجة والسطحية. فالآخرون يخدمون مصالح بلادهم الاستعمارية والدينية كما يخدمونها اقتصادياً، ويقدمون هذه الخدمات من باب الولاء للبلاد وساستها وقادتها الروحيين. ولعل أقرب مثال ما قام به، ويقوم به، رجل الأعمال اليهودى من الولايات المتحدة الأمريكية آرموند هامر فى الاتحاد السوفييتى سابقاً، والجمهوريات الروسية الحالية من عمل على توجيهها الوجهة الغربية فى الجانب السياسى والثقافى والدينى كذلك رغم يهوديته.

٣٧- يحصى كرم شلبى أكثر من خمس وثلاثين محطة إذاعة منتشرة حول العالم، ومنها إذاعة الفاتيكان التى تبث إرسالها بأكثر من سبع وأربعين لغة، أربع وثلاثون منها أساسية، وثلاث عشرة لغة تُستخدم فى مناسبات خاصة. ويزيد عدد الساعات المبثوثة باللغة العربية على ألف وخمسمائة (١٥٠٠) ساعة فى الأسبوع، (ما يقرب من ثمانين ألف (٨٠,٠٠٠) ساعة فى السنة). انظر: كرم شلبى. الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب- القاهرة: مكتبة التراث الإسلامى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م- ص ٧١-٧٧، و ٨٥-٨٧. ويعد هذا العمل العلمى الدقيق أفضل ما نشر فى مجاله وأحدث ما اطلعت عليه.

٣٨- انظر: فريد د. أُكوورد. الإرسال الإذاعى الحالى الموجه إلى المسلمين- فى: التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى- تحرير دون م. ماكورى-د. م.: د. ن.، د. ت- ص ٥٦٢- ٥٨١.

٣٩- انظر: مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية- مرجع سابق- ص ٢١٣-٢١٤.

٤٠- أنظر الهامش رقم (١٩) من هوامش الوسائل المباشرة.

٤١- انظر: أبو هلال الأندونيسى. غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا- ط٤- جدة: دار الشروق، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م- ص ٨٨-٩٠.

٤٢- أنظر: دون م. ماكورى، محرر. التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى- مرجع سابق - ص ١-١٩.

٤٣- انظر: عبد الرزاق دياربكرلى. تنصير المسلمين: بحث فى أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كلورادو التنصيرى- ط ٢- الرياض: دار النفائس، ١٤١١هـ-١٩٩١م- ص ٦٧-٨٥.

* * *

وسائل مساندة للتنصير

ومع الوسائل المباشرة التى اتخذها المنصرون فى سبيل الوصول إلى المجتمعات الإسلامية، وغير الإسلامية، نجد أن هناك ظروفاً تهيأت للمنصرين، وهيأت لهم الطريق للتوغل فى المجتمعات الأخري، وقد ساندتهم فى تحقيق أهدافهم التنصيرية. ومن هذه الأساليب ماهو قديم طارىء، ومنها ماهو قديم يتجدد، ومنها كذلك ماهو جديد لم يكن له وجود من قبل. ومن أبرز الوسائل المساندة للتنصير والمنصرين التالى:

١- الوسيلة المساندة الأولى والأقوى -فيما يبدو- هى الاحتلال (الاستعمار). وقد دعا التنصير الاحتلال إلى احتلال البلاد، وعندما أُحتلت البلاد ذلل المحتلون العقبات أمام المنصرين واستطاعوا أن يقيموا مؤسساتهم فى بلاد المسلمين بكل سهولة. والتآزر بين المحتلين والمنصرين جانب فرضته الكنيسة وجعلته مجالاً للانتقام لأولئك الذين أُخرجوا من فلول الحملات الصليبية، ولذا قيلت العبارة المشهورة فى القدس: «اليوم انتهت الحروب الصليبية.» فى العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجرى، الثانى من القرن العشرين.[١] وقريب من هذا ما قاله الجنرال جورو عندما دخل دمشق الشام، ووقف على قبر صلاح الدين الأيوبى، وقال: «ها قد عدنا يا صلاح الدين» .[٢]

وقد وقف المنصرون ورجال السياسة (المستعمرون) وجهاً لوجه حول أى الفريقين يجب أن يتقدم الآخر. والمعروف فى التاريخ أن المنصرين هم الذين يدخلون البلاد أولاً، ثم يتلوهم المستعمرون. إلا أن المنصرين رغبوا فى تقدم الجيوش عليهم مع بداية القرن الثالث عشر الهجرى- التاسع عشر الميلادى، وذلك بعد أن أدرك الحكام المحليون أن دخول المنصرين يعنى احتلال البلاد، فيجد المنصرون من ذلك عنتاً ومشقة. وكان المنصر «واطسون» قد اقترح أن

تتعاون الحكومات الغربية فى سبيل منع انتشار الإسلام بين القبائل الوثنية فى أفريقيا حتي تكون مهمة التنصير أهون عندما يزول المنافس (الإسلام)، ولايزال المنصرون يخشون هذه المنافسة خشية شديدة.[٣] .

ويرى المنصرون «أن السيادة الغربية فى قطر إسلامى ما معناها تسهيل انتقال المسلمين إلى النصرانية، أما فقدان هذه السيادة فينتج عنه حركة عكسية تماماً.»[٤] ويصرح بذلك، أيضاً، الأب «دوفوكو» فى مذكراته التى كتبها فى ١٣٣٤/٩/١٦هـ-١٩١٦/٧/١٦م، إذ يقول: «أعتقد أنه إذا لم يتم تنصير المسلمين فى مستعمراتنا بشمال أفريقيا، فإن حركة وطنية ستقوم بها على غرار ما حدث فى تركيا، وإن نخبة من المثقفين ستتكون فى المدن الكبرى متأثرة بالفكر الفرنسى دون أن يكون لها إحساس الفرنسيين ولا طيبتهم، وإن هذه النخبة ستحتفظ بمظاهر الإسلام، رغم ضياع روحه، لتؤثّر بها على الجماهير، ومن جهة أخرى فإن جمهور الشعب من البدو والرحل سيبقى جاهلاً عديم الصلة بنا متمسكاً بإسلامه حاقداً على الفرنسيين، محتقراً لهم بدافع من وازعه الدينى وأشياخه ومعاملة الفرنسيين من رجال السلطة»...[٥] وقد عاش هذا الأب بين الطوارق المقاومين لكل تسرب أجنبى.

وكأن الاحتلال بهذه الجهود المبذولة للمنصرين يرد لهم الجميل عندما دعوا له ومهدوا له. وفى هذا يقول المنصر الأمريكى جاك مندلسون: «لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين، لا لمصلحة الكنيسة وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية»[٦] وكما يقول نابليون الأول[٧] فى جلسة مجلس الدولة فى تاريخ ١٢١٩/٢/١٢هـ-١٨٠٤/٥/٢٢م: « إن فى نيتى إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً لى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا. سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار. إن ملابسهم تحميهم وتخفى أية نوايا اقتصادية أوسياسية.[٨]

٢- الحكومات الغربية وسيلة مساندة للتنصير. والمعلوم عن الحكومات الغربية نظرياً أنها حكومات علَمانية، وهذا يقتضى عدم اهتمامها بالدين إلا بالقدر الذى يكفل الحرية الدينية والممارسات الشخصية للشعائر الدينية. وعلَمانية الدولة لا تعنى عدم تديُّن القائمين عليها. ولكن الوجهة النظرية تقول بعدم إقحام الدين فى شئون الدولة، بحيث يكون له أثر فى قراراتها الداخلية والخارجية. ومهما أحسنا الظن فى علَمانية الدول الغربية بخاصة، إلا أننا لا يمكن بحال أن نغفل جهودها فى مؤازرة المنصرين من خلال الهبات والتسهيلات وتبنى المشروعات ودخول المنصرين فى عمليات إخبارية تخدم هذه الدول، ودخول رجال المخابرات بين المنصرين.

٣- والمواطنون الغربيون يساندون المنصرين مساندة قوية. فالميزانيات المرتفعة للمنصرين ، ومؤسساتهم إنما تأتى من المواطنين الغربيين أفراداً كانوا أو ممثلين لمؤسسات تجارية واقتصادية. وحملات التبرعات تتكرر فى وسائل الإعلام وفى الشوارع، وفى البريد يومياً. وتزداد بكثرة أيام الآحاد، حيث يتردد بعض الناس هناك على الكنائس ويكون الجانب الروحى على قدر من الاستيقاظ بعد المواعظ الملهبة للحماس. ومن لا يذهب إلى الكنيسة هذا اليوم يتعرض لهذه المواعظ من خلال شاشات التليفزيون أو الإذاعات المحلية التى ترتبط بالكنيسة بأجر.[٩]

٤- تعد ظروف الفقر والفاقة التى خلفتها مجموعة من العوامل البشرية والكوارث الطبيعية الحالَّة بالمسلمين بقضاء الله وقدره إحدى الوسائل المساندة لحملات التنصير. وهى وسيلة مساندة قوية. فهؤلاء المنصرون لديهم من الإمكانات المادية ما يجعلهم قادرين على الوصول إلى المناطق المنكوبة مهما كانت وعرة أو نائية مادام فيها فقراء معوزون يأكل الجفاف من جلودهم. وهم على هذه الحال مستعدون لقبول أية إغاثة تصل إليهم دون النظر إلى مصدرها والأهداف من ورائها، ولا مجال هنا للتفكير فى الانتماءات العقدية والفكرية

لأن التفكير فى هذه الحال يتوقف، وعندما يعاود الذهن القدرة على التمييز يرفع علامة استفهام عريضة؛ أين المسلمون منا؟

٥- وكذا تفشى الأمراض والأوبئة يعد مرتعاً خصباً للتنصير والمنصرين ولأية دعوة أو توجه. وتبرز هنا وسائل التنصير المتعلقة بالتطبيب والتمريض. ويمكن أن يتصور امرؤ منظر أم تحمل رضيعاً شاحب الوجه بارز الأوداج متضخم البطن ليستقر فى ذهن هذا المرء استعداد هذه الأم منح ابنها لأى شخص سيعمل على شفائه بأى اسم من الأسماء يستخدم هذه الوسيلة. والمنصرون يعرفون استغلال الموقف هذا فيعزون محاولات شفاء الطفل إلى عيسى -عليه السلام- فإذا أراد الله لهذا المريض أن يشفى قيل لأهله إن هذا كان بفضل عيسي، فيكون لعيسى ما يريده له هؤلاء المنصرون، وما لا يريده هو -عليه السلام- لنفسه.

٦- وقلة الوعى بالدين وبالحياة والجهل المطبق بين الناس، واختلاط الحق بالباطل عند كثير منهم واختلاط الصدق بالخرافة كل هذه عوامل كفيلة باستقبال المنصرين وما يحملون من أفكار. والمخرج هنا أن منطلق هؤلاء المنصرين دينى. فهم لا يدعون إلى نبذ الدين، ولا يدعون إلى ترك الصلاة والصيام أو قيام أية علاقة بين العبد والرب بأية طريقة، ولكنهم يرسخون هذه المفهومات بطريقتهم هم وليس بالطريقة الفطرية التى يولد عليها الجميع وينشأ عليها البعض. وقد ذكر زويمر أن « تمادى الاعتقاد بالتمائم وتأثيرها يؤخر أحوال الشعوب الإسلامية ويزيدها شقاءً»[١٠]

ووجود الوعى الدينى والأخذ بأسباب الحضارة والمدنية يعد عائقاً أمام حملات التنصير. ويؤيد هذا ما ذكره زويمر نفسه حيث يقول: « إن الخطة الفاسدة الخطرة التى تقضى ببث مبادىء المدنية مباشرة ثم نشر المسيحية ثانياً عقيمة لا فائدة ترجى منها، لأن إدخال الحضارة والمدنية قبل إدخال المسيحية لاتحمد مغبته، بل تنجم عنه مساوىء كثيرة تفوق المساوىء التى كانت

قبلا.»[١١]

ويؤيد هذا أيضاً قول أحدهم فى مؤتمر كلورادو ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م: «إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا هم من الذين يعتنقون ما يطلق عليه الإسلام الشعبى (أو إسلام العامة)، وهم أرواحيون، يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن ويعرفون القليل جداً عن الإسلام الأصيل، كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التى يعتقدون أنها تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها.»[١٢] أما الجن فيؤمن به المسلمون، وأما الأرواح الشريرة والتعاويذ فليس لها مكان فى قلوب المسلمين البعيدين عن الخرافة.

٧- ولدى المنصرين، فى مجملهم، الاستعداد الذاتى للانخراط فى حملات التنصير لدوافع مختلفة أبرزها المغامرة والرحلات والدخول فى مجتمعات مختلفة عن المجتمع الغربى، ثم تأتى الدوافع الدينية المقصودة أولاً من وراء الحملات. وليست الدوافع الدينية مع وجودها هى المؤشر الأول للاستعداد الذاتى لجميع المنصرين، لأن أعداداً منهم -ولو كانت محدودة- تتخلى عن الهدف التنصيرى، وربما تحولت عن النصرانية إلى الإسلام أو إلى غيره، واتجهت إلى مجال الدعوة إلى هذا التوجه الجديد، وبخاصة الإسلام، بين النصارى وربما المسلمين، وقد وجدت حالات كهذه. وهذه أعداد قليلة ومحدودة، ولكنها على أية حال تبرز شيئاً من شعور هؤلاء المنصرين تجاه دعوتهم إلى النصرانية. وقد قابلت حالات من هذا القبيل فى الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا (الغربية) وفى المملكة العربية السعودية كانوا قد هُيئوا ليصبحوا منصرين ومارسوا التنصير فى بلادهم وفى بعض المناطق الإسلامية، ولكنهم اهتدوا وأصبحوا دعاة إلى الإسلام.

٨- وفى الوقت ذاته يتلقى المنصرون ضمانات مالية واجتماعية من المنظمات والمؤسسات التنصيرية لا تقتصر عليهم فحسب، وإنما تشمل أهلهم وأولادهم.

وأقرب مثال على هذا الدعم المادى الضخم أنه اتصل بى أحد مندوبى

منظمـة من المنظمـات وطلب مـقـابلتى، وكنت أدرس فى الولايات المتـحـدة الأمريكية، وبعد تمنع منى وإصرار منه وإلحاح سمحت له بالمقابلة وضربت له موعداً زارنى فيه فى بيتى وعرض علىّ أنشطة المنظمة وبرامجها، وسألنى إن كنت أرغب فى الانضمام للمنظمة، إلا أنه قبل أن يسمع إجابتى على العرض طلب منى أن يعرض علىّ أربعة أسئلة تحدد الإجابة عليها مدى رغبتى فى الانضمام ولو بعد حين. وكان السؤال الأول هو مدى قبولى رعايتهم لابنى المولود حديثاً حتي يتخرج من الكلية. والسؤال الثانى كان عن مدى قبولى لتأمين مسكن لى على أحد الشواطىء فى ولاية فلوريدا أو فى ولاية كاليفورنيا عندما أصل إلى سن التقاعد، وحيث كانت إجابتى على السؤالين بالنفى رفض المندوب طرح السؤالين الباقيين، إذ لم تكن هناك فائدة من عرضهما بعدما تبين له عدم رغبتى فى قبول مثل هذه الإغراءات. وقد كررت ضرب هذا المثال فى مناسبات متعددة لأنه يبرز تجربة ذاتية فى التعامل مع هذه المنظمات، مع أنى كنت أتمني أنى لم أجب على كل سؤال على حدة، وانتظرت حتي ينهى المندوب أسئلته الأربعة، ولكن فات علىّ ذلك، وفات علىّ السؤالان الأخيران إلى الآن.

٩- وكمـا أن البعض يدفعـه الإيمـان بما يقوم بـه من تنصيـر نجد أن البعض الآخر يدفعه الحقد الكمين الموروث ضد المسلمين بخاصة، وضد الأجناس الأخرى بعامة. ويصحب هذا الحقد لدى البعض الرغبة فى تأكيد سيطرة الرجل الأبيض التى إن لم تصل عن طريق الاحتلال المباشر والتبعية السياسية فإنها ستصل عن طريق التنصير، حيث إشباع الجانب الروحى أولاً، ثم تتحقق الجوانب الأخرى بعدئذ. وهذا الجانب قد يؤكد لنا عدم حصر الحملات التنصيرية -من خلال العاملين بها -على الدافع الدينى المحض فحسب. بل إن هناك دوافعَ قد تكون أحياناً ذاتية تقود البعض إلى الانخراط فى الحملات التنصيرية.

١٠- والنصرانية تعرَّضت للتحريف منذ القدم، أى منذ تدخُّل اليهود ممثلين فى شاؤول أو بولس فى تحريف أمور النصرانية. وهذه التحريفات المستمرة أكسبت النصرانية تسيُّباً فى التعاليم قد يسميه البعض بالمرونة، فكان الاستعداد للتنازل عن بعض التعاليم الدينية قائماً، حتى التعاليم التى كانت صارمة والتى تتعلق بالطلاق والتعدد والسماحة وغيرها تُنوزل عنها. فكان التنازل عن المبادىء والمثل مسانداً للمنصرين فى شق طريقهم فى المجتمعات وبين القبائل التى تخضع لأوامر شيخ القبيلة الذى يخضع بدوره لضغط مستمر من المنصرين بقبول النصرانية، مع البقاء على ما هو عليه من عادات وتقاليد محلية لا تتفق بالضرورة مع أولويات الرسالات السماوية. وإن لم يقبل بالنصرانية فليتخلَّ عن الإسلام -إن كان مسلماً-. ولا مانع لدى المنصرين فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية من التضحية بتعاليم المسيح - عليه السلام - والموروثة التى يدعون إليها فى مجتمعاتهم نظرياً على أحسن الأحوال.

١١- ومؤسسات التنصير من جمعيات ومنظمات تعمد إلى تجهيز المنصرين تجهيزاً تاماً مستغلة فيهم استعدادهم الذاتى للرحلة والمغامرة. فتعمل هذه المؤسسات على تعليمهم اللغات والطباع والعادات والأديان السائدة وجوانب الضعف فيها، وإن لم يكن فيها جوانب ضعف أوجدوا فيها هذه الجوانب كما هى الحال فى موقفهم من الإسلام مستعينين لهذا العمل بافتراءات المستشرقين القديمة والحديثة. فينطلق المستشرقون والمنصرون وهم على دراية بالمجتمعات المقدمين عليها. كما أنهم على استعداد لمواجهة الصعاب والعقبات فيما يتعلق بالتعامل أو العيش أو السكن، يشاطرون الناس طعامهم ومعاشهم ومسكنهم ولباسهم أحياناً ،وإن لم يكونوا على قناعة تامة بما يعملون، وبخاصة فى مجالات العادات الغذائية والتقاليد الأخرى. وفى مجتمعاتنا العربية أكلوا لحم الجزور وشربوا حليب «الخلفات» ولبنها، بل جلسوا تحت النياق

يحلبونها، وهم أولئك الذين يعتقدون أن الجمل حيوان متوحش خشن. وعلى مثل هذا يقاس الوضع فى المجتمعات الأخرى فى آسيا وأفريقيا.

١٢- وتساهل بعض الحكّام المحليين ورؤساء القبائل وشيوخها واستقطابهم للمنصرين والترحيب بهم وتقريبهم وإعطاؤهم التسهيلات لإقامة مؤسساتهم التنصيرية يعد إحدى الوسائل المساندة للتنصير. فقد فتح البعض الأبواب على مصاريعها للمنصرين، وعدوهم المنقذين من التخلف والرجعية والجهل والانطوائية.[١٣] وتذكر الأميرة سالمة بنت السيد سعيد البوسعيدى[١٤] فى كتابها (مذكرات أميرة عربية) -وكانت مسلمة فتنصرت وتزوجت ضابطاً ألمانياً وهاجرت معه إلى ألمانيا فى الثمانينات من القرن الثالث عشر الهجرى، الستينات من القرن التاسع عشر الميلادى- أن التسامح مع المنصرين قد وصل إلى إقامة الكنائس فى مجتمع مسلم خالص (١٠٠٪) كما فى زنجبار، كما وصل إلى السماح للمنصرين بالعمل بهذه المجتمعات والوقوف فى وجه من يتصدى لهم أو يحذر منهم أو يضيق عليهم. ورغم أن هذه الأميرة العربية قد تنصرت ورحلت إلى مجتمع نصرانى إلا أن مذكراتها تقطر بالأسى لما وصلت هى إليه، ولما وصل إليه أهلها وعشيرتها.[١٥] وليست الحال هنا مقصورة على هذه المذكرات أو هذه الأميرة، بل إن أمراءً عرباً آخرين كانت لهم مواقف تيسيرية للمنصرين.[١٦]

ويدخل فى هذا إيجاد حكّام نصارى على أغلبية مسلمة، بحيث تكون هذه الأغلبية أقلية، ويمكّن هؤلاء الحكام للإرساليات التنصيرية الحرية فى التنقل بين المدن والقرى والأرياف، ويقدمون لها الحماية اللازمة على حساب سكان البلاد المسلمين. وفى هذا يذكر المنصر «كينيث لاتورث» أنه « يجب أن نذكر على كل حال أنه لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية فى قطر ما إلا بعد أن تبدل ذلك القطر بحكومته الإسلامية حكومة غربية مسيحية، وذلك

فقط إذا كانت هذه الحكومات الغربية المسيحية تنهج سياسة فعّالة فى مساعدة الإرساليات.»[١٧] ولا تعنى عبارة (الحكومات الغربية) السيطرة الغربية المباشرة، إذ إن هذه السيطرة المباشرة قد زالت مع زوال الاحتلال من بلاد المنسلمين.

١٣- وهناك وسائل أخرى مساندة وغير واضحة للجميع كالتأليف على الرموز والشعائر النصرانية كالصلبان والأجراس والمناسبات الدينية والثقافية النصرانية والغربية على النصرانية وغيرها من وسائل تأليف الأنظار والأذهان. ومن ذلك المحاولات المستمرة لإقامة الكنائس للإرساليات والمدارس والأندية التى تكون مرتفعة ومتميزة « حتي تؤثر فى عقول الزائرين وفى عواطفهم وخيالاتهم. إن ذلك فى اعتقاد المبشرين يقرب غير النصارى من النصرانية.»[١٨]

ولا تعنى هذه الأبنية وجود نصارى فى الأماكن التى تبني بها، ولكن يُحضر لها من يشغلها أوقات العبادة، وإذا ما اعترضت بعض التحديات هذه الطريقة، كأنْ يرفض المسلم بيع بيته أو أرضه من أجل إقامة مؤسسة تنصيرية عليه، أغروه بالمال الكثير ليرحل إلى مكان آخر.[١٩]

وفى عاصمة عربية إسلامية تعد بوابة المسلمين إلى أفريقيا هى (الخرطوم) يجد الواصل إليها عن طريق الجو أول ما يصادفه نادٍ تنصيرى، ثم تليه على الطريق إلى المدينة مقبرة للنصارى ثم تليها كنيسة نصرانية، فيحس المرء أنه فى مدينة نصرانية أو غالبية أهلها من النصارى.[٢٠] وستقوم كنيسة على مدخل المطار الجديد فى البحرى مساحة أرضها مائة ألف متر مربع (١٠٠,٠٠٠).

وهناك وسائل عدة لتأليف الأنظار والأسماع على الرموز والأسماء النصرانية. ومنها ما شاع فى الأسماء وخاصة الإناث وأسماء الأماكن التجارية والمطاعم ومرافق الخدمات التجارية العامة التى فشت الآن فى المجتمعات المسلمة، وأصبحت عنواناً من عنوانات الانخراط فى ركب الحضارة والتقدم. وهذه وغيرها وسائل للتأليف على المفهوم العام والشامل للتنصير الذى انتقل من مجرَّد إدخال غير

النصارى فى النصرانية على ما ورد التأكيد عليه عند الحديث عن المفهوم واستعراض الوسائل المباشرة.

إلا أنه لا بد من شىء من التوازن فى النظر إلى التأليف بالرموز. فليس بالضرورة أن كل ما يوحى بالتأليف يدخل فى مفهوم التأليف على الرموز. والتثبت، دائماً، يعين على الوصول إلى الحكم القاطع، أو القريب من القطع.

* * *

هوامش الوسائل المساندة :

١- هذه العبارة أطلقها اللورد «اللنبى» وقد ترجّل ماشياً إلى قلب المدينة المقدسة، القدس، بعد احتلال البريطانيين لها فى أواخر سنة ١٩١٧م، وعندما أشرف على كنيسة القيامة قال عبارته المشهورة: «اليوم انتهت الحروب الصليبية». انظر: صالح مسعود أبو بصير. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن- بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر،- ص ٦٥.

٢- انظر: جلال العالم. قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله- ط٢- (طرابلس الشام: المؤلف)، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م- ص ٢٦-٢٧، حيث يذكر المؤلف أن الجنرال غورو عندما تغلب على جيش ميسلون خارج دمشق الشام توجّه فوراً إلى قبر صلاح الدين الأيوبى عند الجامع الأموى، وركله بقدمه وقال له: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

٣- انظر: مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية- مرجع سابق- ص ١٤٥.

٤- انظر: مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية- مرجع سابق- ص ١٤٦.

٥- أنظر تكملة هذه المذكرة عند: عزالدين العراقى الذى قام بترجمتها ونشرها فى مجلة (البينة) التى أصدرها. ونقلها منها علاّل الفاسى. التبشير: أخطر أسلحة الاستعمار- الهلال مج ٨١، ع ١٠ (أكتوبر ١٩٧٣م-رمضان ١٣٩٣هـ)- ص ٦٠-٧٠.

٦- انظر: جاك مندلسون. الرب والله وجوجو: الأديان فى أفريقيا المعاصرة- ترجمة إبراهيم أسعد محمد- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م- ص ٢٠٩.

٧- نابليون بونابرت الأول (١٧٧٩-١٨٣١م). ضرب الإنجليز بالمسلمين

باحتلاله مصر. وكان قد أحضر معه مجموعة من المستشرقين، ودخل الأزهر آنذاك. وحاول احتلال الشام، ولكنه أخفق أمام حصون (عكّا). وحياته حافلة بالأحداث العسكرية والثورية. وقد نفى إلى سنت هيلانه» حيث مات هناك بالسرطان. انظر: الموسوعة العربية الميسرة- مرجع سابق - ص ١٨١٢.

٨- أنظر أحمد عبد الوهاب. حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر- مرجع سابق- ص ١٢٨، نقلاً عن جاك مندلسون. الرب والله وجوجو: الأديان فى أفريقيا المعاصرة- مرجع سابق- ص ٢٠٩.

٩- تتبع الإذاعات ومحطات التليفزيون المحلية نظام تأجير ساعات البث. وتعمد الكنائس استئجار ساعات من صباح أيام الأحد، وفى المناسبات الدينية الأخرى. وبدون مناسبة أحياناً. والمشهور عن أحد القسس ويسمى بيلّى جراهام كثرة استغلاله لهذه الوسيلة، بحيث يقف الساعات الطوال وهو يعظ الناس دون انقطاع من الإعلانات التجارية أو الأخبار أو غيرها. وتحاول بعض المراكز الإسلامية اتباع هذا الأسلوب محلياً، وتفلح أحياناً، وتنقصها الإمكانات الفنية والمادية أحياناً أخرى.

١٠- انظر: أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص٩٢.

١١- انظر: أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص٩٢.

١٢- انظر: دون م. ماكورى. التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص ٢٥٢.

١٣- ينقل عن أحد الحكّام العرب أثناء رده على اعتراض الأهالى على التمكين للمنصرين قوله: «... هؤلاء الرجال، من هم؟ هل هم دبلوماسيون؟ هل هم سياسيون؟ تجار؟ لا هؤلاء الرجال جاءوا هنا ليعلمونا. ويعلم الله أننا

جهلاء كالحمير. إنهم يبنون مستشفى ليعتنوا بمريضنا. كل إنسان يموت اليوم، ولكن عندما جاء هؤلاء وجدنا من يعتنى بمريضنا. الطبيب يريد شيئاً. لا أدرى ما هو هذا الشيء، ولكنى أريد أن أقول علناً بأن أى شيء يريده الطبيب فسأعطيه إياه» . أنظر: هـ. كونوى زيقلر. أصول التنصير فى الخليج العربى: دراسة ميدانية وثائقية- مرجع سابق- ص ١٠٨.

١٤- السيدة سالمة بنت السيد سعيد البو سعيدى، أو سلمى، ولدت فى ١٢٦٠/٨/١٤هـ من أم شركسية. تولى أخوها السيد ماجد الحكم بعد وفاة أبيها فتورطت مع أخيه السيد برغش فى مكائد ضد السيد ماجد. هربت إلى عدن بحراً، ولحق بها الهر هنريك رويتى، السكرتير الألمانى لشركة هانسينج فى زنجبار، ثم سافرا إلى هامبورج بألمانيا حيث استقرا زوجين هناك. (وسميت بالأميرة إميلى روث) وعندما توفى زوجها تفرغت للكتابة، وخرجت بمذكراتها. ثم عادت إلى زنجبار. وتوفيت فى ١٣٤٢/٧/٢٣هـ بعد أن تخطت الثمانين. وخلفت ثلاثة من الأولاد وبنتين، ومنهم رودولف سعيد رويتى الذى يعمل محاضراً فى تاريخ عُمان وتاريخ جده سعيد فى إحدى جامعات بريطانيا. أنظر: عبد الله بن صالح الفارسى، الشيخ، كبير قضاة كينيا. البوسعيديون حكّام زنجبار- عُمان: وزارة التراث القومى والثقافة، (١٩٨٢م)- ص ٤٢-٤٩.

١٥- يذكر عبد المجيد القيسى فى مقدمة كتاب (مذكرات أميرة عربية) أنه مما « يجب أن يذكر بالشكر والامتنان لهذه الكاتبة العربية أنها رغم تنصرها وحياتها الطويلة فى بلاد الغرب وتنكر أهلها لها فقد ظلت وفية مخلصة لأهلها وبلادها ودينها الأول، فخورة بهم دوماً كما يظهر ذلك من ثنايا كتابها، فهى إذا ما اضطرت إلى ذكر شأن من شؤون الشرق مما لا يستسيغه الغربيون، كحجاب المرأة أو تعدد الزوجات أو تملك الرقيق مثلاً، نراها تنبرى للدفاع عن الفكرة وتبريرها دفاعاً شديداً لا ينقص من نبل قصدها اتسامه أحياناً بالبراءة والسذاجة.»

أنظر: السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان- سلطان مسقط وزنجبار. مذكرات أميرة عربية- عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م- ص٥٠.

١٦- يقول أحمد حمود المعمرى: « وبدون الحديث عن أعمال المسيحيين يصبح الحديث عن تاريخ ساحل شرق أفريقية غير كامل، وقد سهَّل سلطان زنجبار -رغم أنه مسلم- عمل تلك البعثات المسيحية، وهذه هى الديموقراطية فى الإسلام، فالإسلام لا يتدخل فى شئون أية ديانة أخرى، بل هو يحترم الديانات الأخرى، والقرآن يقول: لا إكراه فى الدين. ومن هذا المنطلق عرض السلطان كافة المساعدات والتسهيلات للبعثات المسيحية عندما اتصلت به. وبصرف النظر عما إذا كان مصيباً فى ذلك أم لا، فإنه قد تصرف بحسن نية وبالتزام كامل بمبادىء الإسلام» . انظر: أحمد حمود المعمرى. عُمان وشرق أفريقيا- ترجمة محمد أمين عبد الله- عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، (١٩٨٠م)- ص٩٥-٩٦ . وأنظر أيضاً: عبد المالك التميمى. التبشير فى منطقة الخليج العربى: دراسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى- مرجع سابق- ص ١٢٣-١٢٤ . وأنظر كذلك: هـ. كونوى زيقلر. أصول التنصير فى الخليج العربى: دراسة ميدانية وثائقية- مرجع سابق- ص ٤٣ و ٦٦ . وأنظر أيضاً: هاريسون. رحلة طبيب فى الجزيرة العربية- ترجمة محمد أمين عبد الله- عُمان: وزارة التراث القومى والثقافة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م- ص ٢٩- ٦٢ .

١٧- أنظر مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية- مرجع سابق- ص ١٤٧ .

١٨- أنظر مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية- مرجع سابق- ص ٢٠٨ .

١٩- أنظر: أبو هلال الأندونيسى- غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا-

مرجع سابق- ص ٢٨ و ٩١.

٢٠- ينقل عن جون جارنج المتمرد الصليبى فى جنوب السودان قوله: «السودان هو بوّابة الإسلام والعروبة إلى أفريقيا، فلتكن مهمتنا الاحتفاظ بمفتاح هذا الباب حتى لا تقوم للإسلام والعروبة قائمة فى جنوب الصحراء الكبرى». أنظر: عبد الودود شلبى. الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير فى العالم الإسلامى- مرجع سابق- ص ١١٩.

***

فى مواجهة التنصير

لم يقف المسلمون – على العموم – مكتوفى الأيدى أمام الحملات التنصيرية. ورغم العرض لبعض الوسائل المساندة للتنصير والمنصرين، التى كان من بينها تساهُل بعض الحكّام المسلمين فى مواقفهم من المنصرين، إلا أنه كانت هناك مواجهة مستمرة، ولا تزال قائمة، للحملات التنصيرية. ويبدو أن هناك اتفاقاً بين المهتمين بالإسلام والمسلمين على المواجهة هدفاً من أهداف الدعوة إلى الله فى الزمن الحاضر. على أن المواجهة لا تتوقف عند مجرد حماية المجتمعات المسلمة من غائلة التنصير، بل إنها تتعدّى ذلك إلى درء الفتنة،[١] وعلى أنه لايفهم من كون التصدى للتنصير والمنصرين هو غاية فى حدّ ذاته، ولكن الدعوة إلى الله تعالى تقتضى العمل على التغلب على الصعاب التى تعترض الطريق. ومن أبرز هذه الصعاب على ما يبدو لى هى هذه الحملات التى لا تزال تتواصل على المجتمع المسلم.

وتتحقق المواجهة بمجموعة من الوسائل التى هى – دائما – خاضعة للتغيير والتبديل والتكييف بحسب البيئات التى تقوم فيها المواجهة. والمهم عند المسلمين أن هذه المواجهات بأساليبها ووسائلها المتعددة لا تخرج بحال من الأحوال عن الإطار المسموح به شرعاً مهما كانت قوة الحملات التنصيرية، ومهما اتخذت هى من وسائل غير نزيهة، فاتخاذ المنصرين وسائل غير نزيهة لا يبرر لنا نحن المسلمين اتباع هذا المنهج فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا.[٢] وهذا يصدق على مجالات المواجهة بخاصة وعلى مجالات الدعوة بعامة،.[٣] بل إن وسائل المواجهة هى فى ذاتها أساليب للدعوة، فقصدنا نحن المسلمين من هذه المواجهة ليس مجرد المواجهة والصدّ فحسب، بل الدعوة إلى الله تعالى بهذه المواجهة بحيث نسعي إلى هداية هؤلاء المنصرين، أو بعضاً منهم، فى الوقت الذى

نحمى فيه مجتمعنا المسلم من الحملات. ولا نبتغى بهذا كله إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولذا فإن روح المنافسة غير الشريفة فى هذا المجال، وفى غيره، غير واردة فى مواجهتنا للتنصير، لأن النِدِّيَّة هنا غير متحققة، بل إننا نعتقد أننا نصارع الباطل بما عندنا من الحق. وفى هذا الصراع بين الحق والباطل ضِدِّيَّة لا نِدِّيَّة.

ومهما جرى هنا من سرد لوسائل المواجهة فلا بد من التأكيد على عدم شموليتها وعدم انطباقها بالضرورة على جميع الأحوال والبيئات. وأى وسيلة لاتخرج عن الإطار الشرعى وتتحقق بها المصلحة أو تغلب فيها المصالح على المفاسد فهى مطلوبة بحسب الحاجة إليها. ولعل من وسائل مواجهة الحملات التنصيرية فى المجتمع المسلم الخطوات التالية:

١- الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، فالمواجهة العملية أن نقدم للآخرين من مسلمين وغير مسلمين البديل الذى نعتقد أنه الحق وهو الإسلام الذى جاء به القرآن الكريم وسنة المصطفى -محمد - صلى الله عليه وسلم -. وأساليب الدعوة متعددة ومتنوعة، وبعضها يناسب مجتمعات ولا يناسب أخرى. فالدعوة المباشرة أسلوب، والدعوة بالإغاثة أسلوب، والدورات أسلوب، والمنح الدراسية أسلوب، وكل ما يحقق الهدف ولا يتعارض مع الشرع أسلوب تفرضه أحياناً الحال أو الزمان أو المكان. والدعوة إلى الله تعالى تتطلب العلم الشرعى أولاً ثم الفقه فيه. وهما يعدان من أوليّات مؤهلات الداعية إلى الله تعالى.

٢- والحكومات الإسلامية يمكن أن تمارس أثراً فاعلاً فى التصدى للتنصير بعدم تقديم التسهيلات للمنصرين فى المجتمعات المسلمة، وبالتأكيد على الوافدين إلى بلاد المسلمين من غير المسلمين باحترام ثقافة البلاد وعدم اتخاذهم أى إجراء عام يتعارض مع هذه الثقافة أو يتناقض معها، وبإحلال البديل الحق الذى يتقدم المنصرون بما يبدو أنه مماثل له، ذلك البديل المؤصَّل المناسب للبيئة المسلمة، وبمراقبة البعثات الدبلوماسية الأجنبية وإشعارها دائماً وبوضوح أنها

مطالبة بالاقتصار على مهماتها المناطة بها والمحددة لها، وعدم الإخلال بهذه المهمات بالخروج إلى المجتمع ومحاولة تضليله دينياً وثقافياً واجتماعياً.

كما أن البعثات الدبلوماسية المسلمة فى البلاد المسلمة عليها مهمة المواجهة بالأساليب التى تراها مناسبة بحيث تحد من المد التنصيرى فى المجتمعات المسلمة التى تعمل بها. وهذا مناط أولا بالبعثات الدبلوماسية التى تمثل بلاداً غنية بالعلم والعلماء، وغنية بالإمكانات التى يمكن أن تحل محل الإمكانات التنصيرية. وعليها فى البلاد غير المسلمة أن تقدم البديل الحق إن لم يكن مباشرة فلا أقلّ من أن تمثل بلادها الإسلامية تمثيلاً يليق بها فى الممارسات الرسمية والفردية، إذ إنه ينظر إلى هؤلاء الممثلين الدبلوماسيين على أنهم حجة على دينهم وثقافتهم ومثلهم.

٣- وقد ظهرت على الساحة الإسلامية مجموعة من الهيئات الإغاثية الإسلامية وجمعياتها ولجانها. وهى مع تواضع تجربتها وافتقارها إلى الخبرة والعراقة، إلا أنها قد اقتحمت الساحة بفاعلية مع قلة إمكاناتها. وهى تشكّل تهديداً عملياً واضحاً للجمعيات التنصيرية. والمطلوب فى هذه الوسيلة تكثيف أعمالها وتعددها النوعى وليس بالضرورة الكمّى. وأظن هذا التعدد ظاهرة صحية إذا ما روعيت فيها الدقة والأمانة والإخلاص فى العمل والبعد عن القضايا الجانبية التى تضر بالعمل ولا تعين عليه. كما أن التنسيق مطلب جوهرى وملحٌّ بين الهيئات، فالغرض هو الوصول إلى المنكوبين، والهدف الأسمي من هذا كله هو تحقيق حمل الأمانة التى أراد الله تعالى لهذا الإنسان أن يحملها.

٤- والعلماء وطلبة العلم يناط بهم عمل عظيم فى هذا المجال. فهم الذين يديرون الدفة، وهم الذين يملكون القدرة بعلمهم وحكمتهم على ميزان الأشياء، ويملكون كذلك القدرة على التأثير. والمطلوب من العلماء وطلبة العلم الولوج إلى المجتمعات المسلمة بعلمهم مباشرة عن طريق الزيارات المستمرة

والأنشطة العلمية والثقافية الجماعية والفردية، وعن طريق المحاضرات والمؤلفات والرسائل القصيرة والنشرات الموجزة الموجهة إلى العامة قصداً.

وهم مطالبون بالداخل بالاستمرار فى تنبيه الناس لأخطار التنصير، ودعوة العامة والخاصة من المسلمين للإسهام فى مواجهة الحملات التنصيرية بحسب القدرتين المادية والبشرية، وبحسب الخبرة وغيرها من الإمكانات. وإنه لمن المفرح حقاً أن التصدى للتنصير بدأ يأخذ بعداً وشكلاً عمومياً بين الناس، بعد أن كان محصوراً على قلة منهم، وبين أوساط المتعلمين والمفكرين والمثقفين فقط. بل لقد قيل فى زمن مضى إنه من العيب على العلماء وطلبة العلم التصدى للحملات التنصيرية والإرساليات فى حقبة من الكفاح القومى ، فلا يجب أن تذكر كلمة إسلام أو نصرانية أو مسيحية أو مسلم أو نصرانى أو مسيحى[٤] ليصبح الجميع إخواناً فى القومية، ويصبح الدين لله والوطن للجميع. وكان هذا المطلب من جانب واحد، إذ إن الإرساليات كانت تترى على المجتمع المسلم، ومنه المجتمع العربى، بشتَّى أشكالها وأساليبها، ومع هذا يطلب من الدعوة إلى الإسلام أن تتوقف من منطلق قومى جىء به ليحل محل الإسلام لا ليحل محل الأديان جميعها، ذلك أن القومية إنما انطلقت على أيدى نصارى العرب. وتلك كانت حالة مرت بها الأمة فى زمن مضى. وقد آذن نجمها بالأفول بعد إذ لم توفَّق فى أن تكون هى البديل للإسلام. ونرى بوادر التخلص منها قد ظهرت منذ زمن على أيدى العلماء الذين نظروا للعربية على أنها مساندة للدين لا منافسة له.

والمطلوب المزيد من هذا التصدى والمزيد من فضح الأساليب وتقديم الأدلة القوية والبراهين الواضحة على هذه الحملات التنصيرية رغبة فى الإقناع، مع التثبت الدائم من المعلومات الواردة لتقوى الحجة ويقوى قبولها.

٥- ورجال الأعمال والتجار والموسرون مطالبون بالإسهام فى التصدى للتنصير، سواءٌ كانوا فى أماكن أعمالهم، أو فى البلاد التى يتعاملون معها. فكما

انتشر الإسلام فى شرق آسيا وجنوب الصحراء الكبرى فى أفريقيا عن طريق التجار ورجال الأعمال الأوائل، يمكن أن تستمر هذه الوسيلة مع وجود تحديات وبيئات وأساليب وطرق تختلف عن السابق. وهم مطالبون أن يكونوا قدوة فى أعمالهم ومعاملاتهم وتعاملهم مع الآخرين من مسلمين وغير مسلمين، ذلك أنهم يمثلون ثقافة وخلفية ينظر إليهما من خلالهم. وهذا مطلب المقلّ، إذ إن المهمات المناطة برجال الأعمال والتجار تتعدى مجرد القدوة إلى محاولة زرعها بالحسنى بين الفئات التى يتعاملون معها.

ولعل التجار ورجال الأعمال وأصحاب المصانع ممن تضطرهم أعمالهم إلى استقدام الطاقات البشرية من القوى العاملة يسعون بجدية إلى التركيز على المسلمين من المستقدمين. وحيث إن هذا المطلب قد لا يتيسَّر فى جميع الأحوال فإن على التجار ورجال الأعمال وأصحاب المصانع أن يتنبهوا إلى ضرورة المراقبة الدقيقة والمتابعة المستمرة لأولئك الذين لا يدينون بالإسلام. والعاملون عموماً أمانة فى أعناق أصحاب هذه المؤسسات، ويحتاجون إلى الرعاية والعناية من المسلمين وغير المسلمين. والمهم هنا هو التأكُّد من أن العاملين من غير المسلمين لم يأتوا لأغراض فكرية أو ثقافية أو دينية أخرى تحت ستار العمل بغض النظر عن العمل فى كونه تخصصاً دقيقاً أو فنياً أوحرفياً يقوم به أشخاص تظهر عليهم البساطة والأمية والتخلُّف.

وهذا الأمر ليس مقصوراً على مؤسسات القطاع الخاص، بل إن القطاع العام يجلب الخبرات والطاقات البشرية المؤهلة وغير المؤهلة أحياناً، فيسرى عليه هذا المطلب الحيوى، مع الأخذ بالحسبان أنه يندس بين هؤلاء العاملين مرشدون روحيون مقصودون لحماية العاملين من الاطلاع الدقيق على حقيقة الإسلام مع ربطهم المستمر بدينهم.

ومن أجل ألا تكون مسألة قبول هذه الفكرة فى متابعة العاملين فى جميع

المؤسسات فردية وخاضعة لمدى اقتناع صاحب العمل بها فى الوقت الذى ينظر فيه إلى الإنتاجية مؤشراً ومقياساً للأداء، فإنه على الغرف التجارية المحلية والإقليمية أن تسهم فى معالجة هذه الناحية بطريقتها فى الاتصال بالتجار ورجال الأعمال بالاجتماع بهم وعقد الندوات أو المحاضرات أو كتابة المقالات والنداءات فى إصدارات الغرف الدورية، أو ما تراه هى مناسباً لإيصال هذه الفكرة.

وفى الداخل يهب رجال الأعمال والتجار والموسرون داعمين للأعمال الخيرية الموثوقة. وهم بحق عصب الأعمال الخيرية والدعوية، ودون ولوجهم أعمال الخير بالبذل وتبنى المشروعات تقف الدعوة والإغاثة مشلولة تتفرّج على الآخرين وهم يتبرعون بسخاء للمنظمات والجمعيات التنصيرية يصل إلى حد وقف مشروعات بأكملها على المنظمات والوصية لها بكامل التركة أو بجُلّها بعد الموت، وهكذا.

٦- وشباب الأمة يملكون الطاقة والقوة وشيئاً من الفراغ والرغبة فيخوضون غمار المؤامرة. ومع شىء من التوجيه يمكن أن يسهم الشباب فى التصدى للتنصير والمنصرين عن طريق التطوع فيكونون سنداً للعاملين فى مجالات الدعوة والإغاثة. ولا يشترط فى الجميع أن يكونوا دعاة بالمفهوم الشائع للداعية، ولايشترط أن يكونوا علماء يملكون زمام الفتوى، ولا يشترط أن يطلب منهم التغيير السريع فى المجتمعات التى يتطوعون للعمل بها، فكل هذه المتطلبات تترك للتخطيط والتنظيم والمسح وللعالمين بالتعامل معها.

ولا يقلل من جهود الشباب المساندة للعالمين والعاملين فى مجالات الدعوة والإغاثة، فإن هذه المساندة مهمة ومطلوبة. ولا أظن أن عملاً يمكن أن يقوم بفاعلية جيدة إن لم توجد هذه الجهود المساندة. ولا أظن أن أمر الاهتمام بالمسلمين فى مجالى الدعوة والإغاثة ينبغى أن يترك للاجتهادات الشخصية المدفوعة أحياناً بالحماس المفتقر إلى الخلفية الجيدة فى أمور الدعوة والإغاثة وإلا

جاءت النتائج عكسية مؤلمة لمن عملوا بهذين المجالين.

وقد أسهم مجموعة من الشباب المتطوعين، ويسهمون، فى هذا المجال عندما تهيأ لهم الموجهون الناصحون المنصحون فى أفريقيا أيام المجاعة وفى آسيا أيام الجهاد فى أفغانستان، فكان الشباب مثالاً للتفانى والتضحية تركوا وراءهم فى ديارهم الخير والجاه والنعمة والرفاهية ورضوا أن يعيشوا فى الكهوف وبين الجبال ويكتفوا بالقليل من الزاد والراحة. هذا فى وقت يظن البعض فيه أن مجموعات غير قليلة من هؤلاء لا تصلح لأى شيء سوى حياة مرفهة.

٧- وهناك مؤسسات علمية ومؤسسات تعليمية كالجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث. وهذه منتشرة فى أنحاء العالم الإسلامى، ويتوقع لها أن تسهم فى مجال التركيز على الحملات التنصيرية، فتُبيِّن خطرها على الأمة عن طريق نشر الكتاب الذى يعالج هذه المشكلة، وعن طريق عقد الندوات والدعوة إلى المحاضرات والمؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية لوضع الخطط والاستراتيجيات لمواجهة التنصير، وعن طريق إصدار دورية علمية، وأخرى ثقافية تعنيان بالتنصير وتتابعان تحركاته، حيث تخلو الساحة من هذه الإصدارات، ولا يوجد -على حدّ علمى- دورية علمية أو مجلة ثقافية واحدة تخصصت بهذه الظاهرة يمكن الرجوع إليها لمتابعة أنشطة المنصرين. وفى المقابل نجد مجموعات من المجلات التنصيرية المدعومة من الجمعيات التنصيرية.[٥] كما لا توجد -على حدّ علمى- مؤسسة علمية أو تعليمية واحدة تضع من اهتماماتها الأولية والمستمرة والمرسومة متابعة هذه الظاهرة ورصد تحركاتها وإطلاع المهتمين على خططها وأعمالها. وفى المقابل نجد الجمعيات التنصيرية والجامعات التى تخصصت فى تخريج المنصرين.[٦] .

والمؤسسات العلمية والتعليمية من مراكز وجمعيات وجامعات تملك القدرتين العلمية والبشرية لترجمة الكتب النافعة والرسائل الموجزة ونشرها بين

الأقليات المسلمة وبين المسلمين عموماً ممن لا يتحدثون اللغة العربية، كما تملك القدرة على تكليف من يجيدون اللغات بالترجمة والتحفيز عليها، كأنْ تكون حافزاً للترقية فى الجامعات مثلاً. كما يطلب من هذه المؤسسات القيام بترجمة بعض ما ينشر من مؤتمرات المنصرين ووقائع لقاءاتهم وجهودهم فى حملاتهم، وذلك رغبة فى إطلاع الأمة على مايراد بها.

٨- ورابطة العالم الإسلامى تقوم بجهود مشهودة فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى. ويتطلع إليها المسلمون فى بذل المزيد فى مواجهة التنصير بما تملك من قدرة على التأثير وقدرة على الوصول إلى من يمكن فيهم التأثير، وإن لم تكن قادرة قدرة مباشرة على التصدى لهذه الحملات التنصيرية فى المجتمع المسلم، ولكنها تسهم على أية حال فى هذا المجال وبخاصة أن أهدافها تنص على دحض الشبهات، والتصدى للأفكار والتيارات الهدامة التى يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم، وتشتيت شملهم وتمزيق وحدتهم، والدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم، ويحل مشكلاتهم. وينتظر منها المزيد فى اتخاذ الوسائل التي أعلن عنها، وذلك، مثلاً، بإقامة لجنة، تحت مظلة الرابطة، تعني بظاهرة التنصير وتعمل على متابعتها ورصدها.[٧].

٩- والندوة العالمية للشباب الإسلامى تكشف من أنشطتها فى أوساط الشباب، وتحمل لهم المنهج الصحيح، وتزيد من المخيمات الشبابية فى أفريقيا وآسيا ثم أوروبا والأمريكتين، وتجلب لهم العلماء وطلبة العلم والكتب والرسائل والنشرات الإسلامية المنقولة إلى اللغات التى يجيدونها. وتركز فى نشاطها الثقافى فى هذه المخيمات على الأخطار التى يواجهها هؤلاء الشباب فى عقر دارهم، وبين ظهرانيهم. ومن بين هذه الأخطار والتحديات هذه الحملات التنصيرية المنتشرة.[٨]

١٠- ومنظمة المؤتمر الإسلامى والمنظمات المنبثقة عنها تملك شيئاً من

القدرة على التأثير السياسى على الحكام ورؤساء الدول الإسلامية وملوكها. والمنظمات المنبثقة عنها كالبنك الإسلامى للتنمية وصندوق التضامن الإسلامى تملك القدرة على تبنى المزيد من المشروعات التى يمكن أن يسبق بها المنصرون.[٩]

١١- والجمعيات الإسلامية المحلية الطلابية والمعنية بالجاليات والأقليات المسلمة فى غير بلاد المسلمين، وبخاصة فى أوربا والأمريكتين هى أيضاً مطالبة بالإسهام فى المواجهة، إذ التنصير ليس موجهاً إلى المجتمعات المسلمة فحسب، بل إن الجاليات المسلمة تتعرض لهجمات تنصيرية مسعورة فيها خطورة بالغة على الأجيال المسلمة القادمة.

١٢- والجماعات الإسلامية على اختلاف أسمائها وتوجهاتها تتحمل جزءاً غير قليل من المسئولية فى وضع برنامج لمواجهة التنصير ضمن اهتماماتها وأنشطتها، وتستخدم فى هذا كل الوسائل الممكنة لها والمتاحة فى بيئتها مادامت تتماشى مع شرع الله تعالى، أو لا تتعارض معه. ولعل هذا البرنامج يطغى على بعض البرامج الجانبية التى تهتم بها بعض الجماعات، وتشغل بها المترددين عليها مما هو مدعاة إلى إيجاد فجوات لا مبررلها بين المسلمين أنفسهم، بل إن وجود مجلس يوحِّد هذه الجماعات قصداً إلى مواجهة إرساليات التنصير أصبح مطلباً حيوياً يبرز من خلاله التنسيق والتشاور واستخدام الخبرات والإمكانات ١٠]

١٣- ولا بد من التعرف على عقائد النصارى واختلافها باختلاف الطوائف من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذوكسية وما بداخل هذه الطوائف الرئيسية من انقسامات،[١١] ومواقفها من طبيعة المسيح عيسى بن مريم -عليه السلام- وأمه الصديقة مريم -عليها السلام- ومواقفها من عقيدة التثليث، ومواقفها من قضايا إيمانية تتعلق بنزول عيسى -عليه السلام- آخر الزمان، ومسألة البعث والجزاء والحساب، وغيرها من معتقدات القوم المبثوثة فى الأناجيل، قصداً إلى

التنبيه لعدم الوقوع فيها، ورغبة فى السيطرة على موضوع التنصير عند الحديث عنه.

١٤- ولا بد من قيام جهة علمية برسم طريقة للحوار مع النصارى فى مجالات العقيدة. ومع أن هذا الموضوع غير مرغوب فيه لدى بعض المهتمين، إلا أنه عند الاستعداد له بالعلم الشرعى وبالعلم بالملل والنحل والنصرانية بخاصة قد يدخل فى دعوة القرآن الكريم إلى أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينهم ألا نعبد إلا الله تعالى ولا نشرك به شيئاً. قال تعالى: ﴿ **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون**﴾[١٢] .

وهذا ما يعمل على تحقيقه الداعية المسلم « أحمد ديدات » فى محاوراته مع النصارى، وفى دعوته المسلمين إلى التحاور معهم من منطلق القوة والعلو بالإيمان، وليس من منطلق الاستجداء والمواقف الدفاعية والتبريرية والاعتذارية.[١٣] وهذه الخصال هى التى يخشاها فريق من المسلمين، لما يرون فيها من الهوان والتهوين والانجرار إلى المحذور من الوقوع فى شرك القوم. وهذا يصدق على أولئك الذين يتصدون لهذا الأمر دون أن يعدوا له عدته، فيقعون فى المحذور الذى دعا له أحد الباحثين النصارى هو الأستاذ ديون كراوفورد فى تقرير نشرته مجلة (الحوادث الأفريقية) جاء فيه: « إن المسلمين يسيئون فهم النصرانية، كما أن النصارى جهلة بعقيدة المسلمين، ولا ينبغى أن نواجه المسلمين بتحاملات غير موثقة، بل بمعرفة عميقة بحقائق دينهم، ولذلك يجب العمل على تعليم القساوسة وغيرهم حتى يتمكنوا من العمل فى مناطق المسلمين، ويتعين على النصارى والمسلمين أن يدخلا فى حوار لا يؤدى إلى مواجهة وجدل، وإنما إلى فهم كلٍ منهم لدين الآخر، وعن طريق هذا الحوار

يمكن تصحيح الفهم غير الصحيح الذى تعلمه المسلمون من القرآن عن النصرانية، وخاصة فيما يتعلق بالكتاب المقدس ورسالة عيسى وعقيدة الثالوث التى يفهمها المسلمون ويعتبرونها شركاً- وكذلك طبيعة الكنيسة باعتبارها تمثل جسد المسيح. وينبغى أن تتحول العلاقة بين المسلمين والنصارى من علاقة المواجهة السابقة إلى علاقة حوار، على ألا يؤدى هذا الحوار إلى المساومة على النصوص الإنجيلية من أجل تنمية الحوار، وهذا مالا يجوز فالحوار لاينبغى أن يكون بديلاً عن التبشير بالإنجيل، وعلى المسلمين أن يفهموا أن الحوار يستهدف كسبهم إلى صف النصارى، وينبغى على النصارى أن يخالطوا المسلمين ويصادقوهم، وأن يستغلوا ذلك فى إزالة سوء الفهم الراسخ فى أذهانهم تجاه الإنجيل والمسيح» .[١٤]

* * *

هوامش مواجهة التنصير :

١ – ولعلنا بهذا نخرج من مجرد الشعور بأنا نتصدّى للتحديات التى تواجهنا، فنكتفى بالتنبيه لها والتحذير منها مما يدخل فى انتظار الأفعال للرد عليها، إلى السعى إلى تقديم البديل الصالح الذى نعتقد أن فيه، لا فى غيره، صلاح البلاد والعباد، وأنه سر السعادة فى الدنيا والآخرة. وهذا المفهوم لايأتى بمجرد الترديد النظرى فى المجتمع المسلم، بل لا بد أن تنطلق القدوة التى تحمل الإيمان على أكتافها بعد أن استقر فى صدورها، فتقدم هذا الإيمان إلى الآخرين على أنه هو الخيار الوحيد فى عالم ملىء بمحاولات البحث عن الحقيقة والسعادة والاستقرار الروحى والنفسى والذهنى والفكرى، وتمثلت هذه الأفكار بهذه الحركات والمذاهب التى جرى استغلالها على غير ما قصدت له فى الغالب الكثير، كالتنصير الذى انطلق فى البدءِ من رسالة عيسى بن مريم –عليهما السلام– وحصل له ما حصل من تغييرات فى المفهوم والأهداف، وإن لم يخرج فى ناحية منه عن المفهوم الأساسى له وهو إدخال غير النصارى فى النصرانية. ولا أظن أننا بحاجة إلى استخدام المصطلح نفسه يطّوع للدعوة إلى الله تعالى، كما حاول البعض فى إثارة مفهوم التبشير الإسلامى أو التبشير المضاد. فالدعوة مفهوم يكفى فى نشر الإسلام. أنظر: عثمان الكعاك. صفحات سوداء من تاريخ المبشرين– الهلال مج ٨١، ع ١٠ (أكتوبر ١٩٧٣م– رمضان ١٣٩٣هـ)– ص٣٨–٥٠.

٢ – ومصداق هذا ما يؤثر عن النبى محمد –صلى الله عليه وسلم– قوله: «إن الله طيّبٌ لا يقبل إلا طيّباً». رواه مسلم والترمذى وأحمد.

٣ – والغاية فى الإسلام لا تبرر الوسيلة، ولا ينتظر فى سبيل الوصول إلى الأهداف أن تؤوّل الوسائل بحال من الأحوال. ويبدو أن التأويل الآن مدخل غير

طيب لطرق سبل غير مشروعة تقود بسرعة إلى الغايات. مع أن الوسائل المشروعة تقود إلى الغايات بغض النظر عن الزمن.

٤- أنظر: مصطفى خالدى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية- مرجع سابق- ص ٢٧.

٥- ومن أبرز الدوريات التنصيرية على كثرتها. العالم الإسلامى، والحقيقة الواضحة، والإسلامية الفصلية. والإسلام الألمانية والفرنسية والروسية، وغيرها مثل المشرق من العربيات. وكثير من الدوريات العربية والثقافية منها بخاصة تعود إلى خلفية تنصيرية.

٦- ومن أبرز هذه المؤسسات معهد الآداب العربية فى تونس، والمركز النصرانى لدراسات شمال أفريقيا فى الجزائر، وقد أغلق، ومركز دراسات العالم العربى الحديث فى بيروت، ومعهد الشرق الأدني للاهوت فى بيروت، ومركز دراسات الإسلام فى أفريقيا فى نيروبى بكينيا، والمركز النصرانى للدراسات فى روالبندى بالباكستان، ومعهد زويمر للدراسات الإسلامية فى كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها كثير.

٧- نشأت رابطة العالم الإسلامى فى ١٣٨١/١٢هـ- ١٩٦٢/٥م، وتمثل جميع الشعوب الإسلامية. وقد انبثق إنشاؤها عن المؤتمر الإسلامى العام الأول الذى عقد بمكة المكرمة بعد الانتهاء من أداء مناسك الحج من عام ١٣٨١هـ- مايو ١٩٦٢م. وتهدف بالإضافة إلى ماذكر تبليغ دعوة الإسلام ومبادئه وتعاليمه. وتتخذ لذلك الوسائل المناسبة من العمل على تحكيم شرع الله، والأخذ بمبدأ الشورى، والإفادة من منافع الحج، وإقامة ندوة عالمية سنوية بمكة المكرمة، وغيرها من الوسائل المنصوص عليها فى ميثاق الرابطة. أنظر: الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى. رابطة العالم الإسلامى: عشرون عاماً على طريق الدعوة والجهاد- مكة المكرمة: الأمانة العامة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م- ص ٣-٥.

٨- تأسست الندوة العالمية للشباب الإسلامى سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م. وهى هيئة مستقلة وملتقى إسلامى يجمع جهود العاملين فى حقل منظمات الشباب والطلاب المسلمين فى العالم. وتهدف إلى التعاون والتنسيق فى مجالات النشاط الإسلامى فكراً وتخطيطاً وتنفيذاً. أنظر: «التعريف بالندوة العالمية للشباب الإسلامى: أهدافها وأوجه نشاطها ونظامها الأساسى». فى: المنظمات الطلابية الإسلامية: دورها ومشكلاتها- ط٢- الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م- ص ٣٩٧-٤٠٠.

٩- عندما عقد أول مؤتمر إسلامى بالرباط بالمملكة المغربية من ٩-١٢/٧/١٣٨٩هـ الموافق ٢٢-٢٥/٩/١٩٦٩م أعلن فيه أن «الحكومات الإسلامية ستتشاور بقصد تعزيز التعاون الوثيق بينها...» وفى السنة التالية ١٥-١٧/١/١٣٩٠هـ-٢٣-٢٥/٣/١٩٧٠م قرر وزراء الخارجية فى الدول الإسلامية إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامى التى سيكون مقرها جدة فى المملكة العربية السعودية. وتولى أمانتها العامة رئيس الوزراء الماليزي «تنكو» عبد الرحمن بعد أن استقال من منصبه. وتهدف المنظمة إلى تعزيز التضامن الإسلامى، ودعم التعاون بين الدول، والعمل على محو التفرقة العنصرية، واتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين، وتنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة، ودعم كفاح جميع الشعوب الإسلامية، وإيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء والدول الأخرى. وتنبثق عن المنظمة مجموعة من الهيئات والمجالس التى تسعى إلى تحقيق هذه الأهداف. ويبلغ عدد الدول الأعضاء فى المنظمة ستاً وأربعين دولة، وبعض الدول المراقبة. وسيزيد العدد بعد استقلال جمهوريات الاتحاد السوفييتى المنهار، وانهيار الشيوعية فى أوروبا الشرقية واستقلال الدول من الاتحادات الفدرالية ورغبتها فى الانضمام إلى المؤسسات الإسلامية. انظر: عبد الله الأحسن. منظمة المؤتمر الإسلامى: دراسة

لمؤسسة سياسية إسلامية- ترجمة عبد العزيز إبراهيم الفايز- هيرندن، فيرجينيا: المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م- ص ٣٧-١١٨.

١٠- أشهر الطوائف النصرانية هى البروتستانتية ثم الكاثوليكية ثم الأرثوذوكسية. ومن هذه الطوائف الثلاث الرئيسية تتفرع طوائف صغيرة وهناك طوائف قديمة لا تزال باقية فى بعض المجتمعات النصرانية، وبخاصة فى المشرق. أنظر: أحمد شلبى. مقارنة الأديان: ٢- المسيحية- ط ٦- القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٨٢م- ص ٢٣٧-٢٤١. وانظر أيضاً: «النصرانية» فى: الندوة العالمية للشباب الإسلامى. الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة- ط٢- الرياض: الندوة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. ص ٤٩٧-٥٠٨.

١١- الآية ٦٤ من سورة آل عمران. ومن مضمون هذه الآية يناقش رءوف شلبى مسيرة النصرانية عبر القرون، ويبين موقف الإسلام من قضايا النصرانية فى القرآن الكريم. ويورد حديثاً عن النبى محمد -صلى الله عليه وسلم- «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط فإن لهم ذمة» ويذكر أنه حديث صحيح رواه الحاكم والطبرانى فى الكبير. انظر: رءوف شلبى. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء- ط ٢- القاهرة: دار الاعتصام، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م- ص٣٠٣-٣٢٥.

١٢- إخال أبرز المحاورين مع النصارى على الساحة الإسلامية المعاصرة الداعية الإسلامى أحمد ديدات. وقد أصدرت المكتبة العربية مجموعة من الأعمال المترجمة إلى العربية عن جهود هذا الداعية الذى يحاور النصارى مشافهة وتحريراً. ومن أبرز السلسلات التى تعنى بأعمال الداعية أحمد ديدات مكتبة ديدات، وتصدر عن المختار الإسلامى. وقد تخطت العشرين رسالة. وهناك إصدارات أخرى عن أحمد ديدات نشرتها المختار الإسلامى، ودار المنار، ودار الاعتصام، ودار الفضيلة، ومكتبة القرآن وغيرها. وأظن أن هذه الأعمال تمثل الحوارات المنطلقة عن قوة واقتناع من المحاور بما يحاور من أجله. فقد تخطت الدفاعية والتبريرية

والاعتذارية إلى تقديم الإسلام حلاً لمشكلات العصر بأنواعها. أنظرمثلاً لا حصراً: محمد عبد القادر الفقى. حوار ساخن مع داعية العصر أحمد ديدات- القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٩٢م - ٨٠ ص.

١٣- أنظر: كرم شلبى. الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب- مرجع سابق- ص ٣٢.

* * *

الخاتمة

النتيجة والتوصيات :

التنصير ظاهرة قديمة تتجدد. وقد بدأت صحيحة، ولكنها تأثرت بما تأثر به ماتدعو إليه. وهذا التأثر أدى إلى التوسع فى المفهوم، والخروج به عن القصد الذى أريد منه. ومع توسع المفهوم توسعت الأهداف ولم تعد مقصورة على مجرد إدخال غير النصارى فى النصرانية. كما أنه صار لها مفهوم خاص بالمجتمعات المسلمة، إذ يركز الآن على إخراج المسلمين من إسلامهم، أو يعمل على نزع ثقة المسلمين بدينهم وبرسولهم محمد -صلى الله على وسلَّم- وقد دأب التنصير والمنصرون على ذلك بمؤازرة من عدة وسائل داخل بعضها فى الرسالة التى يحملها المنصرون، وبعضها يدخل فى طبيعة الناس الذين يُستهدفون بالتنصير من فقراء وجهلة ومرضى، كما يدخل جزء منها فى عوامل مساندة كالاحتلال (الاستعمار) والاستشراق والصهيونية، وبعض الضعفاء من حكام المسلمين.

ولم يقف المسلمون مكتوفى الأيدى من حملات التنصير فقاوموها، وإن كانت المقاومة على غير مستوى الحملات من نواح عدة. ولكن مبدأ المقاومة كان موجوداً، ولا يزال قائماً مع اختلاف فى القوة وفى النظرة إلى النصارى والمنصرين تبعاً للحال التى وصل إليها المسلمون. ومع تنامى ظاهرة العودة إلى الإسلام على مختلف المستويات، وبين الشباب على أوضح الصور، يتنامى الوعى بما يواجه الأمة من تحديات وتيارات، ومن بينها التنصير، فيزداد الوعى بالخطر، مما يؤدى إلى زيادة التأكيد على المواجهة بإحلال البديل الصالح، وليس بالضرورة للتصدى للتنصير من منطلق الدفاع واتقاء الهجمات، بل إن المواجهة تسعى الآن -بفضل من الله- إلى سد الطريق على الذين يحاولون تحقيق أهداف التنصير فى المجتمعات المسلمة. ومع وجود هذه الخطوات، والتآزر على تحقيقها، تظل المسافة

بعيدة عن الوصول إلى الهدف الأول وهو الحماية التامة للمجتمع المسلم.

وأظن أن المسلمين سيظلون عرضة لحملات التنصير مع الوقت. وسيظل الصراع بين الخير والشر مستمراً. وسيحدث تنبهُ المسلمين لهذه التحديات تغييرا فى الوسائل والخطط والنظرة إلى المجتمع المسلم الذى لن يكون كما كان عليه فى مطلع هذا القرن الميلادى العشرين، الذى نوقشت فيه النتائج التى توصل إليها المنصرون آنذاك. ولن يكون كما كان عليه قبل خمسين سنة مضت، أو خمس وعشرين سنة مضت التى نوقشت فيها خطط جديدة فى مؤتمر كلورادو. وأظن أن مؤتمرات تنصيرية قريبة الحدوث، ستكون فيها دراسات حديثة حول الوسائل والخطط التى تتماشى مع النظام العالمى الجديد بعد انتهاء الحرب الباردة. وأظن أن نشاطاً تنصيرياً سيفتح له الباب الشرقى على مصراعيه، حيث يُتوقَّع أن تنشط الأرثوذوكسية فى منافسة الطائفتين الأخريين الكاثوليكية والبروتستانتية على جلب أكبر قدر ممكن من الأنصار. وسيكون النشاط الأرثوذوكسى أقوى من النشاطين الاخيرين فى محاولات للتكفير عن الماضى يوم أن كانت قوى الأرثوذوكسية لا تتمتع بالحرية التى تتمتع بها الطائفتان الأخريان. وفى الوقت نفسه ستنشط الطوائف الأخرى فى دخول السباق لكسب مزيد من الأنصار، وتحقيق مزيد من الأهداف:

وفى ظل هذه التطورات يؤمل ألاَّ يعوَّلَ كثيراً على مجرد المؤشرات الحسنة التى ظهرت على الساحة الإسلامية، بل لا بد مع هذا من تكثيف الجهود فى مواجهة الحملات التنصيرية، واتخاذ الوسائل الحديثة فى سبيل المواجهة. ويُتوقَّع ألاَّ يقتصر المسلمون على أنهم هم الذين على الحق فيكتفون بالدعوة وسيلة من وسائل المواجهة فقط، فإن علم المرء الداعى بالحق لا يعنى بالضرورة علم المحيطين به عنه فور إعلامهم به.

ومواجهة التنصير تدخل فى إطار الصراع بين الحق والباطل، ولذا فإنه يُتوقَّع

للمواجهة الاستمرار مع استمرار فى تقويم الأهداف والأساليب والوسائل والخطط والاستراتيجيات والنتائج.

وفى سبيل خطوات عملية فى استمرار المواجهة وتنظيمها أضع بعض المرئيات القابلة –فى نظرى– للتنفيذ على الواقع، ويأتى من أهمها:

١ – استمرار التوعية بأخطار التنصير والمنصرين على المجتمع المسلم مهما اعتقد هذا المجتمع أنه محصَّن من هذه الهجمات. والتوعية تأخذ أشكالاً عدة مثل المحاضرات العامة، والأحاديث الإعلامية والكتابات الصحفية وغيرها من الأشكال.

٢ – إنشاء هيئة إسلامية عامة لمواجهة التنصير تقوم برصد أنشطته، وتسهم فى تحقيق النقطة الأولى باتخاذ السبل المناسبة والمتاحة لها كالمؤتمرات والندوات والجولات والنشر وغيرها.

٣ – إصدار دورية متخصِّصَة بالدراسات العلمية التنصيرية، تنشرها إحدى المؤسسات العلمية الإسلامية، وتنشر موضوعاتها بأكثر من لغة من لغات العالم. وتتخذ السبل فى سبيل استمرار صدورها من تأمين التمويل المادى واستكتاب المهتمين.

٤ – التركيز على البحوث والدراسات التنصيرية فى الجامعات والمعاهد العليا، وبخاصة فى أقسام الثقافة الإسلامية أو الدراسات الإسلامية فى الجامعات الإسلامية.

٥ – التكثيف من إرسال الدعاة إلى الله تعالى فى المجتمعات الشبابية أولاً، وغير الشبابية ثانياً. ويكون هؤلاء الدعاة على قدر من العلم والفقه بما يعلمون والفقه بما سيواجهون من مجتمعات إسلامية لها خصوصيَّاتها التى تميِّزُها عن غيرها من المجتمعات الإسلامية الأخرى.

٦ – التكثيف من أعمال الإغاثة فى المجتمعات المسلمة الفقيرة، وتقديم

البديل الصالح فى المجالات الطبية والتعليمية والإغاثية الأخرى. والعمل على التأكيد على التنسيق بينها، وأنها لا تتنافس فيما بينها ولا تنافس الهيئات الإغاثية التنصيرية والدولية، بل هى تسعى إلى القيام بواجبات المسلمين تجاه المسلمين أولاً، ثم تجاه الأكباد الرطبة الأخرى ثانياً، بل ربما عملت على أنها تغيث الأكباد الرطبة عامة دون تمييز.

٧- لا بد من تدخل الهيئات الرسمية من الحكومات الإسلامية والمنظمات الرسمية فى هذه المواجهة بتقديم ما يعنيها فى هذا المجال من الدعم المادى والمعنوى لأعمال المواجهة المختلفة، وفى الوقت نفسه عدم التساهل مع الهيئات التى يشم من أعمالها رائحة التنصير وهى تعمل فى المحيط الإقليمى لهذه الهيئات.

٨- تتحمل الجامعات الإسلامية مهمة تربوية مهمة، وهى مسئولة أمام المجتمعات المسلمة الفقيرة، ومعظم المجتمعات المسلمة فقيرة،- بتقديم المنح لأبناء هذه المجتمعات فى مقراتها أو فى مؤسسات علمية فى بلدانهم. وتقديم الطاقات البشرية العاملة لتوجيه الشباب التوجيه السليم.

٩- والمسئولية مشتركة. وكل مسلم يتحمل جزءاً منها، فليس من الحكمة أن تحصر مسئولية المواجهة وتقديم البديل الصالح على مؤسسات أو أفراد دون مؤسسات أو أفراد. وتبدأ المسئولية من مفهوم الرعاية انطلاقاً من البيت ثم إلى مؤسسات المجتمع المسلم المختلفة، العلمية والتربوية، والتجارية، والصناعية، والسياسية والدعوية والإغاثية وغيرها. والتحديد بجهات بعينها قد ينظر إليه على أنه إغفال لجهات هى ألصق بمجالات المواجهة، ولذا تعمَّم المسئولية.

١٠- الإصرارعلى التميُّز عن العالم الآخر، ليس بحكم العرق أو اللون أو الإقليم، ولكن بحكم الانتماء العقدى الذى يفرض مسألة الانتقاء فى الأفكار والمفهومات والثقافات المستوردة، فيعرضها على معيار الكتاب والسنة ومصادر

التشريع الأخرى فيقبل منها ما لا يتعارض مع المعيار، ويلفظ ما لا يتناسب معه. ولا ينطبق هذا على الأفكار والثقافات والمفهومات فحسب، بل يشمل أيضاً كل مقومات الحياة الاجتماعية والإنسانية والتقنية على حدٍّ سواء.

١١- ومما تدعو له النقطة السابقة إيجاد البدائل التى تخفّف دائماً من الاعتماد على الآخرين فى مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلمية التطبيقية والبحتة والتقنية، بحيث لا يستمر المجتمع المسلم عالة على المجتمعات الأخرى فى هذه المجالات. والمجتمع المسلم اليوم قادر من وجوه متعدِّدة على الاكتفاء الذاتى أولاً، ثم الإسهام فى التقدم العلمى العالمى الموجَّه ثانياً. ولا مبالغة فى هذه النقطة بحال، فالطاقات العلمية والموارد البشرية الأخرى والموارد الطبيعية والسوق وغيرها من مقوِّمات النهوض كلُها موجودة -بفضل الله تعالى- وتبقى مسألة توظيف هذه الطاقات. وتوظيفها اليوم أحسن وأفضل بكثير من توظيفها بالأمس، وفى هذا تشغيل للطاقات المسلمة من جهة، واستغناء عن الطاقات الأجنبية من جهة أخرى.

١٢- ولا بد أخيراً من التأكيد على الابتعاد عن ردود الأفعال، والاستعداد لكل نائبة متوقَّعة من نوائب الدهر عن طريق استشراف المستقبل، والتخطيط المسبق، والنظرة بعيدة المدى، فنحن مستخلفون فى هذه الأرض فنعدُّ لها عدَّتها، ليس على أنها دار قرارنا، ولكن على أننا مطالبون بعمارتها. ولا تعارض بين المفهومين.

وأرجو أن أكون بهذا العمل قد أسهمت بجهد المقل فى وسيلة من وسائل المواجهة. فإن أكن قد وفِّقت فى هذا ففضلٌ من الله تعالى ومنَّةٌ، وإن أكن قصَّرت دون المتوقَّع فمن نفسى. وكلٌّ يؤخذ من كلامه ويردُّ إلاَّ المعصوم محمَّداً -صلى الله عليه وسلَّم- وأدعو الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه،وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

قائمة ورقية بالمراجع

١ - أ. ل. شاتليه.

الغارة على العالم الإسلامي- لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي- بيروت: مكتبة أسامة بن زيد. د.ت- ص١٠٩.

٢- إبراهيم الزين صغيرون. «لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أوغندا» مجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)- ع ٦ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)- ص ١٧-٢٩.

٣- إبراهيم السليمان الجبهان.

ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير-الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ- ١١٢ ص.

٤- إبراهيم عكاشة على.

التبشير النصراني في جنوب السوان وادى النيل - القاهرة:دار العلوم ١٩٨٢م.

٥- إبراهيم عكاشة على.

«علم التبشير: مناهجه وتطبيقاته.» مجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)-ع ٥-(١٤٠١هـ-١٩٨١م)-ص١٢٥-١٥٠.

٦- إبراهيم عكّاشة على.

ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤,٧هـ-١٩٨٧م- ١٧٦ ص.

٧- أبو هلال الأندونيسى.

غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا- ط٤- جدة : دار الشروق ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م- ص١٩١ .

٨- أحمد حمود المعمرى.

عُمان وشرق أفريقيا- ترجمة محمد أمين عبد الله- عُمان: وزارة التراث

القومى والثقافة، [١٩٨٠م]- ٠ ص١٦ .

٩- أحمد شلبى.

الحروب الصليبية: بدؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن؛ عرض للهجمات الصليبية الغربية على العالم الإسلامى عبر العصور- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، [١٤٠٦هـ-١٩٨٦م]- ص٢٢٤ .

١٠- أحمد شلبى.

مقارنة الأديان: ٢- المسيحية- ط ٦- القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٨٢م- ص٣٠٣ .

١١- أحمد عبد الوهَّاب.

التغريب: طوفان من الغرب- القاهرة: مكتبة التراث الإسلامى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م- ص٤٨ .

١٢- أحمد عبد الوهَّاب.

حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر- القاهرة: مكتبة وهبه، ١٤٠١هـ-١٩٨١م- ٢٢٤ ص.

١٣- أسعد عبد الرحمن.

المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٨٢-١٩٨٢-ط٢- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠م- ص٢٧٢ .

١٤- إسماعيل مظهر. « تاريخ تطور الفكر العربى بالترجمة والنقل من الثقافة اليونانية -١-»- المقتطف مج٦٦ ع٢ (١٩٢٥/٣/٣م)- ص ١٤١-١٤٩.

١٥- أندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف يونغ.

الأصول الوثنية للمسيحية- ترجمة سميرة عزمى الزين- د.م.: المعهد الدولى للدراسات الإنسانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م- ص١٦٦ - (سلسلة من أجل الحقيقة/٤).

١٦- توفيق سلطان اليوزبكى.
تاريخ أهل الذمة فى العراق (١٢-٢٤٧هـ)- الرياض: دار العلوم ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م- ص٤٨٠ .
١٧- جلال العالم.
قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله- ط٢-(طرابلس الشام: المؤلف)، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م- ٦٤ ص.
١٨- دون م. ماكورى، محرر.
التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى- تحرير دون م. ماكورى-د. م.: د. ن.، د. ت- ص٩١٥.
١٩- رؤوف شلبى.
يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء- ط ٢- القاهرة: دار الاعتصام، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م- ٣٣٥ ص.
٢٠- سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان سلطان مسقط وزنجبار.
مذكرات أميرة عربية- عُمان: وزارة التراث القومى والثقافة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م- ص٣٢٠ .
٢١- سعيد عاشور.
الحركة الصليبية- ٢ ج- القاهرة: مكتبة الأنجلو-المصرية، ١٩٧٦م-
٢٢- عبد الجليل شلبى.
معركة التبشير والإسلام: حركات التبشير والإسلام فى آسيا وأفريقيا وأوربا- القاهرة: مؤسسة الخليج العربى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م- ص٣١٧ .
٢٣- عبد الرزاق دياربكرلى.
تنصير المسلمين: بحث فى أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كلورادو التنصيرى- ط ٢- الرياض: دار النفائس، ١٤١١هـ-١٩٩١م- ص١٥٧ .

٢٤- عبد السلام هارون.

تهذيب سيرة ابن هشام- ط٣- د. م.: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م- ص٤٧١ .

٢٥- عبد العظيم رمضان.

الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية- القاهرة: دار المعارف ١٩٨٣م- ص٥٥١ .

٢٦- عبد الله التل.

جذور البلاء-ط٢- بيروت: المكتب الإسلامى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م- ص٢٨٠ .

٢٧- عبد الله بن صالح الفارسى، الشيخ، كبير قضاة كينيا.

البوسعيديون حكَّام زنجبار- عُمان: وزارة التراث القومى والثقافة، ١٩٨٢م- ص١٧٦ .

٢٨- عبد المالك التميمى.

التبشير فى منطقة الخليج العربى: دراسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى- الكويت: شركة كاظمة، ١٩٨٢م- ص٣٣٥ .

٢٩- عبد الودود شلبى.

حقائق ووثائق: دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية فى العالم الإسلامى- جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م- ص١٧٠ .

٣٠- عبد الودود شلبى.

الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير فى العالم الإسلامى- القاهرة: الزهراء للاعلام العربى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م- ١٦٨ ص.

٣١- عثمان الكعَّاك. صفحات سوداء من تاريخ التبشير- الهلال مج ٨١ ع ١٠ (أكتوبر ١٩٧٣م-رمضان ١٣٩٣هـ)- ص ٣٨-٥٠.

٣٢- عجاج نويهض.
بروتوكولات حكماء صهيون: نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية- ط٣- بيروت: دار الاستقلال، ١٩٩٠م- ص٦٤٤ .
٣٣- عصام عبده. ولا يزال التنصير مستمراً. المجاهد مج ٤، ع ٤٣ (ذو الحجة/ ١٤١٢هـ)- ص ١٢-١٧.
٣٤- علاّل الفاسى. التبشير أخطر أسلحة الاستعمار- الهلال مج ٨١، ع ١٠ (أكتوبر ١٩٧٣م-رمضان ١٣٩٣هـ)- ص ٦٠-٨٠.
٣٥- على بن إبراهيم النملة. الاستشراق فى خدمة التنصير واليهودية- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ع ٣ (١٤١٠/٧هـ- ١٩٩٠/٢م) - ص ٢٣٧-٢٧٣.
٣٦- ابن حزم الظاهرى، أبو محمد على بن أحمد. .
الفصل فى الملل والنحل- ٥ مج- د.م.: دار الفكر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م-
٣٧- إبن الأثير، على بن محمد الجزرى، عز الدين أبى الحسن.
أُسْد الغابة فى معرفة الصحابة- ٦ مج- د. م..: دار الفكر، د. ت-
٣٨- عمر فرُّوخ. «الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة»- فى: المستشرقون والإسلام- تأليف نخبة من العلماء المسلمين- جدة: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م- ص ١٢٥-١٤٣.
٣٩- ابن كثير، أبو الفداء، الحافظ.
البداية والنهاية- دقق أصوله وحققه أحمد أبو ملحم وآخرون- ٨ مج- القاهر: دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م-
٤٠- كرم شلبى.
الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب- القاهرة: مكتبة التراث

الإسلامى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م- ص٢٣٢ .

٤١- محمد أمير يكن.

يهوذا الأسخريوطى على الصليب-مالطا: دار إقرأ، (١٤١٠هـ) ١٩٩٠م. ص٣٤٢ .

٤٢- محمد أبو زهرة.

محاضرات فى النصرانية: تبحث فى الأدوار التى مرت عليها عقائد النصارى وفى كتبهم وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم- ط٤- الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ- ص٢٣٩ .

٤٣- محمد طاهر التنير.

العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية- نشره وعلق عليه ونقحه وقدم له محمد ابن إبراهيم الشيبانى- الكويت: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م- ص١٥٦- (سلسلة ملل ونحل/٤).

٤٤- محمد عبد القادر الفقى.

حوار ساخن مع داعية العصر أحمد ديدات- القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٩٢م- ص٨٠ .

٤٥- محمد بن عبد الوهاب وعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم-الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د. ت- ص٥١٢ .

٤٦- محمد عثمان بن صالح.

النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م. ص٦٩ .

٤٧- محمد على أبو حمدة .

الأخطبوط الصهيونى رأى العين- عمّان: مكتبة الرسالة،

١٤٠٣هـ-١٩٨٣م- ص١٢٣ .
٤٨- مصطفى خالدى وعمر فروخ.
التبشير والاستعمار فى البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التى ترمى إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربى-بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٣م-ص٢٧٩.
٤٩- مصطفى فوزى غزال.
الحيل والأساليب فى الدعوة إلى التبشير- د.م: د.ن، د.ت- ص ١٠٧.
٥٠- نجيب العقيقى.
المستشرقون- ٣ مج- ط٤- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م-
٥١- الندوة العالمية للشباب الإسلامى.
الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة- ط ٢ -الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م- ٥٧٦ ص.
٥٢- هـ. كونوى زيقلر.
أصول التنصير فى الخليج العربى: دراسة ميدانية وثائقية- ترجمة مازن صلاح مطبقانى- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م- ص١٩٥ .
٥٣- هاريسون، (بول)
رحلة طبيب فى الجزيرة العربية- ترجمة محمد أمين عبد الله- عُمان: وزارة التراث القومى والثقافة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م- ص١١٦ .
٥٤- هيم ماكبى.
بولس وتحريف المسيحية- ترجمة سميرة عزمى الزين- د. م.: المعهد الدولى للدراسات الإنسانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م- ص١٠٣ - (سلسلة من أجل الحقيقة/٣) ..

الفهـــرس

الموضـــــوع	الصفحـــة

٩٣/٣٥٠٨

I.S.B.N

977 - 255 -068 -7

التنصير ... وهذا الكتاب

ـ لا نزعم أن هذا الكتاب سيحيط رصدا واستقصاءً وتحليلا لكل الجوانب المتصلة بالتنصير !!

ـ لكن أهمية هذا الكتاب تكمن فى أنه محاولة علمية ترتفع فوق العواطف راصدةً ومحللةً من خلال الوثائق التى لا خلاف حولها .

ـ إنّ عدّة ملايين من رجال التنصير ينتشرون فى الأرض مزودين بأحدث وسائل الإعلام والتربية والتأثير وبعدد غير معروف من المليارات ... هؤلاء الناس يخدمون أمريكا وأوروبا ، كما خدموا بريطانيا وفرنسا والاستعمار القديم ... وهم يتحركون ضد المسلمين بالدرجة الأولى والثانية ... ومعروف أن نصيبهم من تنصير المسلمين هزيل وهو لا يساوى شيئا بالنسبة للإمكانات والنفقات ... والعجيب أنهم يعلمون ذلك ؛ لأن التنصير لا يهمهم فلو كان يهمهم لبذلوا جهودهم ضدّ المادية والانحلال والوثنية والانحطاط والظلم الذى يجتاح العالم وبخاصة بلادهم الأساسية ...!!

لكنهم بالنسبة للمسلمين يهدفون إلى فصْل المسلمين عن الإسلام ، ونشر المبادىء الهدّامة واللادينية بينهم ، وزرْع القابلية للاستعمار فى نفوسهم ... وللأسف فقد نجحو إلى حد كبير فى ذلك ...!!

وهذا الكتاب للأستاذ الدكتور «**على إبراهيم النمْلة**» من أفضل الكتب العلمية الهادئة المنصفة فى هذا السبيل .... ولهذا نعتبره إضافة كريمة تقدمها دار الصحوة للقارئ الذى يبحث عن الحق وينشد معرفة ما يدور حوله وما يُدبَّر له ... وماذا يجب أن يفعل من أجل عقيدته وأمته وأبنائه والإنسانية جمعاء .

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

الإدارة: ٧ ش السراى – أول المنيل – القاهرة ت وفاكس: ٩٨٧٩٢٤

الفرع: بجوار عمارات المهندسين حدائق حلوان – القاهرة ت: ٣٧٤٠٠٧١